بين يدى الله

عبد الرزاق نوفل

بَينَ يدىِّ الله

بين يدي الله

تأليف

عبد الرزاق نوفل

الطبعة الأولى



مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا . تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا » .

« صدق الله العظيم »

إهـــــداء

إلى الباحثين عن السعادة الروحية.. أهديهم طريقاً إليها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً »

حرص الدين الإسلامى على دعوة الناس إلى التأمل ، وطالبهم بالتدبر وزودهم بمجالات الفكر والتفكر ، ولو تمعن الإنسان فى نفسه بل لو نظر إلى ما حوله .. لوجد آيات . . وآيات .. كلها تشير إلى الله سبحانه . . وتبين بعض مظاهر قدرته وتدل على آثار رحمته . .

والتأمل إنما هو وسيلة إسعاد النفس ، وطريق المتعة الروحية . فهو كواحة جميلة فى صحراء الحياة لابد أن يلجأ إليها الإنسان ليحس بالأمان ويشعر بالطمأنينة ويرتوى من السكينة . .

والتفكر وهو يقود الإنسان إلى الحقيقة الأولى فى الحياة وهى أن لهذا الوجود ربا . وأن لهذا الكون خالقاً ، فإنما هو سبيل العزاء لكل نفس والراحة لكل قلب والمتعة لكل عقل..

وليس أدل على اهتمام الإسلام بالدعوة إلى التفكر من أن القرآن الكريم طالبنا به فى آيات كثيرة ، ودعانا إليه فى كل ماحولنا . . فأمرنا بالتفكر فى خلق السماوات والأرض فى مثل الآية الشريفة :

« الذِينَ يَذكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »

وكذلك التفكر فى أنفسنا بنص الآية الكريمة :

« أَوَلَم يَتَفَكَّرُوا فِى أَنفُسِهِم مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا إلاَّ بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى » .

بل يقرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى وقد أنزله للناس فإنه جل شأنه يطالبهم بأن يتفكروا فيه بالنص الشريف :

« وَأَنزَلنَا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ » .

وأن ما جاء فيه من أمثلة أو قصص فإنما أوردها الله سبحانه للناس لعلهم يتفكرون ، وذلك بالنص الكريم :

« وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون » ،

« فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون » .

وكثيراً ما أوصى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفكر فى آيات الله التى أنزلها فى القرآن الكريم بمثل مارواه أبو سعيد الخدرى قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا أعينكم حظها من العبادة ، فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظر فى المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه » وكذلك بالتفكير فى كل ما حولنا . التفكير الذى يقود الإنسان إلى معرفة الحقيقة الكبرى فى الوجود ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » . . وهل هناك أكثر دفعاً للإنسان على التفكر من هذا الحديث الشريف . . ؟

وهذا الكتاب (بين يدى الله) إنما هو دعوة إلى التأمل وإلى التفكر وإلى التدبر . . وإن كان عدد موضوعاته محدوداً فإن كل كلمة جاءت فيه إنما هى دعوة إلى التأمل وموضوع للتفكر وطريق إلى التدبر . .

والله أسأل أن يحقق الهدف منه فيضفى الطمأنينة على القلوب التى تذكر الله به .

« الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » .

(صدق الله العظيم)

دائما

بَيْنَ يَدَيِ اللّٰه

عجيب أمر هذا الإنسان . !

فكل ما حوله إنما يشير إلى حقيقة قاطعة ...

فالسماوات من فوقه ، بل الوجود وما حوله يجد فيها إبداع الخلق وجمال التكوين ..

وكل ما خلقه الله يجد فيه كمال التنسيق ورائع التلوين ..

وبالرغم من ذلك فقد جاءته من الآيات ما تجعله على بينة واضحة . .

فلا بد إذاً أنه يعرف . .

ويالسوء عاقبته إذ يتصرف وكأنه لا يعرف . .

فنجده إذا هم بخطيئة حاول أن يتخفى . .

وإذا أحس بمن يراه اجتنب الخطأ وابتعد وانزوى . .

أيخشى الناس ؟ .. والله أحق أن يخشاه ..

فقد يستتر وقد يحتجب .. ولكن الله دائماً يراه ..

أليس الله سبحانه وتعالى هو الذى يقول :

« أَلَمْ يَعلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى »

وإذا أصبح الإنسان موضع اتهام . .

فأيا كان قدر عقوبته ومهما قلت درجته . .

وسواء أكان بريئاً من الذنب أو أنه حقاً قد ارتكبه . .

نجده يبحث عمن يشهد له ويختار من يحسن الدفاع عنه . .

وإذا تكلم انتقى من اللفظ أحسنه . .

وإذا نوقش اصطنع لنفسه من الخلق أكمله . .

كأنه يعرف أن لاحكم إلا على مايقوله ويعلنه . .

أما ما تخفيه نفسه وما يحتويه صدره . .

فلن يكون موضع سؤال أو حساب ..

وبالرغم من أن قيام الوجود يشهد بأن الله فى كل ما فيه . .

وأنه محيط به . . وأنه قبله وبعده . .وأنه مامن حركة أو سكون..
إلا والله علم أمرها قبل أن تكون وبعد ألا تكون .

فما تخفيه أى نفس وما يحتويه أى صدر فالله أعلم به . بل هو أعلم به من صاحبه ..

نجد أن الله سبحانه وتعالى قد قرر هذه الحقيقة فى آية كريمة يقول فيها :

« يَعلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصدُور » .

فما أعجب أمر الإنسان . .

وعجيب منه تتبعه عورات غيره . .

فلو علم . . لكفاه أن يستر عورات نفسه . .

فكيف ينقد ظل غيره . . ولا يرى سواد عمله . .

وكيف يرى الهفوة من صاحبه ولا يحس بخطيئته هو . .

ولماذا يأسف على صغيرة كانت من غيره . . ولا يندم على كبيرة منه ؟ . .

وأليس من العجيب حقاً أن يرى الإنسان عيب غيره فينقده . .

ويتألم ويشقى لو غيره أظهر له بعض عيبه . .

وهكذا يستمر الإنسان طول حياته متجاهلا أمر نفسه . .

متباعداً عن إصلاح حاله . . منشغلا عن ذلك بعيوب غيره . . متتبعاً أخطاء سواه .

كأن عقابه يوم الحساب إنما سيكون على أخطاء غيره وما ارتكبته أى يد غير يديه .

وكأنه المسئول عن غيره .. ولن يسأل عن نفسه

ألم يسمع ويتذكر قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » .

ومن عجيب أمر الإنسان .. إنه يعلم أن الله خلق له لساناً واحداً .. بينما خلق له عينين وأذنين وشفتين ويدين وقدمين ..

فكان لزاماً عليه أن يتكلم نصف ما يرى . أو يسمع .. أو يأكل أو يعمل .. أو يسعى ..

ولكنه يتكلم أضعاف ما يجب عليه ..

وما يتكلم به إنما يزيد من الذنوب والأوزار التى عليه ..

ألا حقق الحكمة من أن الحواس كلها ضعف اللسان ..

فلزم أن يكون كلامه نصف ما يستعمل من حواسه الأخرى ..

ألم يستمع إلى قول الله سبحانه وتعالى له :

« أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ » .

ويسمع الإنسان بأذنيه تغريد الطيور تعلن مولد يوم جديد ..

وكان يعتقد أنها إنما تنشد التحية ليوم سعيد . .

فلما وجدها كذلك تغنى فى المساء ...

أعتقد أنها إنما تجمع صغارها وكبارها بالتغريد والغناء ..

ولكنها لا تكف طوال اليوم منذ أن تشرق الشمس إلى أن تغيب .

حومت أو وقفت . . طارت أو حطت .. جاعت أو شبعت . . ظمأت أو ارتوت .

فتأكد أنها بتغريدها إنما تسبح لله . .

وكذلك الأغصان إذا ما تمايلت مع الريح أو سكن الهواء . .

فإنما تنحنى سجوداً لله . .

والنجوم والكواكب التى تلف حول مجموعاتها . .

ومجموعاتها التى تلف حول غيرها . . إلى أن تشمل الوجود كله حركة التسبيح والطواف . .

إنما تسبح لله . .

وهكذا ماغرد طائر أو أنشد إلا ويسبح له . .

وما خطف البرق أو قصف الرعد إلا ويسبح بحمده . .

وما تعاقب ليل وأشرق نهار . . وما أينعت ثمرة أو اخضر عود . .

إلا وكل ماقى الوجود إنما يسبح لله . .

ألم يستمع إلى قول الله تعالى :

« يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

أو ليس الإنسان وحدة من وحدات هذا الوجود . .

فلماذا لا يماثل كل ما فيه فيسبح دائما لله الموجود . .

ويستجيب لأمر الله سبحانه وتعالى وهو يقول :

« وسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وَقَبلَ غُرُوبِهَا وَمِن آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطرَافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرضَى » .

ألا ما أعجب أمر الإنسان . . !

فإذا استشعر الخطر الداهم .. أو أصابه الكرب العظيم ..

ومهما كان هذا الخطر .. ومهما كان قدر هذا الكرب ..

نجده قد عرف أن له ربا هو أرحم الراحمين .. بل هو الرحمن الرحيم ..

يناجيه ويفزع إليه ..

ويأخذ على نفسه العهود والمواثيق .. لو نجاه الله لظل على عبادته وحمده وشكره ..

وينجيه الله ..

فإذا به وكأنه تناسى عهوده ومواثيقه ..

ألا ما أصدق الآيات وهى تقول له .. وعنه ..

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ • قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ » .

ومن عجيب أمر الإنسان . أنه كثيراً ما ينسى أن كل ما خلقهم الله من جنسه إنما هم سواء ..

فآدم أب البشر جميعا وأمهم حواء ..

وكلهم من ذكر وأنثى ، وكلهم من تراب وماء ..

فإذا ماوسع الله عليه رزقه فلجأ إليه من يحتاجه .. أو استعمل غيره فى خدمته .. أو عمله ..

نجده يعامله وكأنه من جنس غير جنسه ..

يتعالى عليه ويسىء إليه .. مستغلا حاجته إن كان مسكيناً ..

ولا يرحمه أو يعطف عليه إن كان يتيما ..

ألا يعلم أنه قد يكون هذا المسكين أو اليتيم عند الله مقبولا ..

وأنه قد يفضله يوم القيامة فيكون من رحمة الله قريبا ..

وأن شهادته له أو عليه قد تكون هى الحجة فى يوم يجعل الولدان شيبا ..

أفلا يحسن فى الحياة الدنيا معاملة الضعيف والمسكين ..

ويكون فى عونه فيمنحه الله العون المتين ..

ألا يعطف على كل سائل قربى لله ..

ألا يحب كل من يعمل معه محبة فى الله ..

ألا يعطى اليتيم والمحتاج تحدثاً بنعمة الله ..

فيكون بذلك قد استجاب لأمر الله له إذ يقول :

« فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »

وعجيب أمر هذا الإنسان ..

إذ يأسف إن أعطاه الله من الذريه إناثا ..

وغيره يدعو الله الاتكون ذريته ذكرانا .

وهذا يزعجه أن تلد له زوجته .. أيا كانت ما تلد ..

وغيره .. يعيش بحسرة .. إذا كان عقيما ..

ألا يعلم الإنسان أن الرجل أنما أنجبته أنثى ..

وأن الأنبياء والرسل كلهم إنما نسبوا إلى الأم أكثر من الأب .

فهذا إسماعيل بن هاجر .. وهذا عيسى بن مريم ..

أما موسى ، فإن قصته تتصل بأمه فهى التى أوحى الله إليها فألقته فى اليم .. ليعود إليها ..

وهذا خاتم الرسل والنبيين محمد الصادق الأمين . .

كان يتيم الأب . فلم ير من أبويه إلا أمه .. وعاش طفولته بين يديها .

فعلى الإنسان أن يحمد الله عاطيا .. ويشكره مانعا ..

فرزق من خلقهم سبحانه مكفول بأمره .. وأما من حرمه الذرية فلأمر يستوجب الحمد له والشكر عليه ..

وهل للانسان فيما أتجب .. أو لم ينجب .. شأن أى شأن ..

ألم يسمع الحجة الساطعة والآية البالغة فى قول الله سبحانه

« لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ »

ومن عجيب أمر الإنسان .. غروره بنفسه ..

يعتقد بأنه فى الحياة وكأنه قادر عليها ..

فيسير على الأرض ويدب عليها كأنها تهتز تحت قدميه ..

ويختال بنفسه كأنه وليس على أديم الأرض غيره يمشى على نعليه ..

ويمرح بين الناس كأن الحياة خالدة له ..

ويعبث عبث من يعتقد أن الموت بعيد عنه ..

ألا يعلم أن مصير كل حى إلى زوال ..

وأن الأرض إلى فناء وكذلك الجبال .. ؟

ألا ليته يستجب للآية الشريفة

« وَلاَ تمشِ فِي الأَرضِ مَرَحًا إنَّكَ لَن تَخرِقَ الأَرْضِ وَلَن تَبلُغَ الجِبَالَ طوُلاً »

وعجيب من الانسان أن يطمئن إلى غده ..

فهل أخذ على الزمن موثقا ألا يتغير معه .. ؟

فيتصرف الانسان فى يومه وكأنه قد تمكن من دهره

وبالرغم من أنه يرى فى غيره ماينافى رأيه ..

فإنه يبدو وكأنه يخالف البشر وكل الناس إنما غيره ..

فنجده يتحدث حديث الواثق من عمره ورزقه ..

لايحسب إطلاقا ما قد يأتى به الغيب ..

ألا يعلم بأن اليوم إنما كان الغدبالنسبة للأمس .

وهكذا أصبح يومه أمسا وغده يوما ...

أيدرى فى أى يوم سيكون نهايته .. ؟

فقد يسرع الخطى إلى مكان بعيد يعتقد أنه إنما ليقضى فيه حاجته ..

وقد يكون هذا إنما استجابة للحظته .

وما يعلم كيف وأين يكون رزقه .. تأكيدا .. وما يعلم أين ومتى يكون حينه ..

ألا يذكر قول الحق جل شأنه :

« وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »

وبالرغم من أن الإنسان يعلم تماما أن كل ما فى الوجود إلى فناء ونهاية ..

فإنه كثيراً ما يحب ما يفنى ..

فإذا جرى على ما يحبه ما لابد أن يجرى عليه فزع وحزن وبكى ..

فهذا يحب ولده حبا يطغى على مشاعره ووجدانه ..

وغيره يحب صاحبته حبا يملأ حواسه ويصعب عليه بيانه ..

وهذا يحب ماله حبا يجعله لا يفكر فى غيره فى يقظته أو منامه .

فإذا جاء الوقت ـ ولا بد أن يجىء ـ فاسترد الله وديعته ..

نجد الإنسان قد انقلب كيانه ..

فلماذا أحب من هو من عدم إلى عدم يصير . ؟

ولماذا تعلق بميت كان يعيش بين الأحياء لوقت مهما طال فهو قصير .

ألا أحبب الله .. الذى يبقى ويفنى كل ما عداه ..

ألا تعلق بالحى الذى لا يتغير ولا دائم سواه ..

ألم يستمع إلي الحقيقة القاطعة .. التى تقولها الآية :

« لَا إِلَه إِلاَّ هُوَ كلُّ شيءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيهِ ترجَعُونَ »

ويترقب الإنسان كل أيام حياته ..

يشفق على نفسه من سوء ما قد تأتى به ..

ويقضى حياته مكافحا لعله يلقى من خير الدنيا قدر ما أنفق فى سبيله ..

وهو بين الاشفاق والأمل يعيش فى اضطراب وقلق . .

فالطفل نجده يتطلع إلى يوم يتحقق له فى بغيته . . وكلما تحقق له إحداها . . تطلع إلى غيرها . .

ويكبر ليصبح طالبا . . ينتظر يوم امتحانه . . وبين كل امتحان وغيره . . أياما أخرى شبيهة . . وما أكثرها . . !

والزارع يجد ويكد فى رضه . . يبذر حبه . . ويعتنى بزرعه . . متطلعاً إلى يوم يرجو قربه . . يوم يحصد زرعه ويجنى ثمره . .

والتاجر يرقب نتيجة تجارته . . وما أقسى لحظة الارتقاب ! وتدوم هذه اللحظة طالما هو فى عمله . . إن خسر مرة عاوده الأمل فى الربح . . وإن ربح . . تطلع إلى المزيد . . والعودة . .

وهكذا كل إنسان يقضى حياته متطلعاً إلى يوم ينال فيه خيرا . .

وكلما مر عليه يوم ارتقب غيره . . منتظراً أن ما فاته فيه قد يعوضه فيما بعده . .

فهل ارتقب الإنسان اليوم الأكبر الذى لاريب فيه . .

وهل عمل له قدر ماهو عليه . . .

فإذا كان هذا قدر ارتقابنا وتمسكنا باليوم الباطل . . فكيف باليوم الذى لاباطل فيه . .

أرأيت كيف يتمسك الإنسان بأخيه . . وكيف يتعلق بأمه وأبيه . . وكيف يعشق صاحبته وكيف أنه يود لو افتدى بنفسه بنيه . .

لنعرف قدر اليوم الآخر . .

ولنعرف كيف نعمل له ..

نتدبر قول الله سبحانه وتعالى عنه :

« يَومَ يَفِرُّ الْمَرءُ مِن أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيه . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »

حقا عجيب أمر هذا الإنسان . .

إذ يقبل على الفانية . . ويترك الباقية . .

يقضى حياته وهو يحرص عليها . . ويستقبل الآخرة وهو نافر منها . .

يشغله جسده . . أيما انشغال . . ألا يثق أنه إلى تراب أكيد . .

ويجمع المال دون احتراز من مصدره . . وكأنه لا هم له فى حياته إلا جمعه . .

ألم يعلم أنه لا بد سيتركه لمن يبدده بعده . .

و يعمر مسكنه بكل مايجعله مريحاً . كأنه لن يفارقه . .

ألا ليته يتأكد أنه لا بد مغادره . .

أما كان الأجدر به أن يهتم بروحه فهى الباقية . .

وهى التى ستظل معه . . بل إنها هى هو . .

وما من زاد لروحه . . إلا الإيمان بربه . . وتقواه . .

وما من مال يستفيد به الإنسان إلا بقدر ما أنفق منه ابتغاء وجه الله . .

ففى الحياة الباقية لا مال ينفع . . ولا بنين تشفع . .

وصدق الله العظيم الذى يقول :

« يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »

ومن عجيب أمره ..

أنه يتهيب الموت .. وكأنه ليس النهاية الحتمية لـكل إنسان ..

ونجد صور خوفه منه تبدو فى شفقته على من هم حوله ..

وفى خوف على الأحياء من بعده ..

ألا يتدبر كم مات من الجدود والآباء .. والأحفاد والأبناء ..؟

ترى .. هل توقفت الشمس .. أو غاب القمر ..؟

وهل أجدبت السماء .. أم جف الزرع واختلف الثمر ؟

ومازالت الحياة تسير كعهدها وفى كل لحظة يغيب حى بل أحياء ..

وما تغيرت النواميس وما اختلفت السنن وجـد الـكائن أو غاب ..

ومهما تذكر الأهل والأقارب .. عزيزاً لهم فهل ليوم أو لأيام .. ؟

وهل امتدت الذكرى إلى عام أو بعض عام ..؟

ثم ألا يحدث ماحدث .. وما يحدث إلى الأبد وعلى الدوام ..

فالعجلة تدور . . والحياة تسير . . والنسيان يزحف . . وينتهي كل أمر . .

ومن هو معنا اليوم . . لا بد له من غد قريب أو بعيد يرحل فيه . .

وكما نحن اليوم نودع فلا بد سنصبح مودعين . .

وإن كنا نأسف على الراحل . . فسنسعد ونحن راحلون . .

فليست الحياة هي ما نحيا فيها ولكن الحياة هي ما بعد الممات . .

أليس الله سبحانه وتعالى هو الذى يقول :

« وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »

ومن عجيب أمر الإنسان . . اعتقاده بأن ما كان إنما تم لأن . .

فلو تصرف بغير ما قام به ما تم ما كان . .

ويمده الشيطان بالتأويل ليصرفه عن التسليم . .

ويداخله الشرك الخفى فى لفظ شقى . . ألا وهو : لو . .

ألا يعلم بأن ما كتب لابد يكون . . وأن ما كان قد قدر قبل أن يكون . .

وأنه لا يقع إلا ماشاء الله . .

وأن الإنسان إنما يعيش لتحقيق ما كتبه الله . .

وكل ما فى الوجود إنما يتم بإرادة الله . . .

ألا يذكر قول الله سبحانه وتعالى :

« وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » .

عجباً وأى عجب لهذا الإنسان . .

يسأل عن كل شىء . . ويبحث وراء كل أمر . .

إذا وقع مالابد أن يقع . تعجب وتساءل لماذا يقع . .

وإذا ارتقب مالم يقع تعجب وبحث لماذا لا يقع . .

كأنه وله من أمره أو أمر غيره . . مايريد . .

وتحدث له فى حياته . العبر والعظات .. وتمر وكأنها لم تكن . .

كم مرة تأخر عن شىء بالرغم عنه .. فأراد الله له به الخير . .
أو عجل له من أمر فنجا من الشر ..

وهل منا من لم يلحظ أن لحة واحدة من عمر الزمان أنقذته من
خطر داهم أو شر محقق ..

فشكرنا فى وقتها الظروف التى بدت فى حينها وكأنها تعاكسنا
وما كانت حقا .. إلا لتحمينا .

ولكن قليلا ما نذكر .. ونشكر ..

ويقص علينا الحق سبحانه قصة موسى وعبد الله الصالح ..

لم يستطع موسى بالرغم من عهده له .. أن يصبر معه .. على
ما رأى منه ..

فكيف يخرق العبد الصالح سفينة لمساكين يلتمسون
بها رزقا ..

ثم يقتل غلاماً ضعيفاً .. لم يرتكب شراً .. أو إثماً ..

وأما أهل القرية التى رفضت أن يضيفوهما فأصلح فيها
جداراً بها ..

وما كان ذلك إلا لأن وراء السفينه ملكا يغتصب السفن فخرقها لأن عيبها سيجنبها اغتصابها ..

والغلام كان أبواه مؤمنين فكان لابد أن يبدله الله لهما بأكثر منه خيراً وأقرب رحما ..

والجدار كان تحته كنز لغلامين يتيمين لأب صالح .

وكان لابد أن يبقى الكنز حتى يبلغا أشدهما ويستردا كنزهما ..

هذا ما اعترض عليه موسى . . وهو نبى الله ورسوله .

عندما رأى ظاهره ثم حمد الله وشكره عندما عرف باطنه . .

ثم يستمع إلى العبد الصالح وهو يبرر مافعل ..

فيقول .. وبانعم مايقول ..

« وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى » .

هل من يعترض بعد ذلك على أمر تم ..

أو يأسف على شىء ارتجاه .. ثم لم يتم ..

عجيب حقا .. أمر هذا الإنسان..

إذ يرى بعينيه كيف يقلب الله الليل والنهار ..

وكيف أنه بعد وحشة الظلام الرهيبة .. تبدو تباشير الفجر الرقيقة .. ثم تشرق الشمس ..

وأبداً ودائماً .. يعقب الليل النهار .. وتخلف الظلمات الأنوار ..

وإذا أمسكت السماء مدة ... فلا بد لها من سحب ... ثم إذ بالمطر ينهمر ..

ومهما طال الشتاء فلا بد من ربيع يشرق بالحياة والأمل ..

ثم الصيف بعده .. ليحمل فى نهايته خريفاً موقوتاً لأجل ..

وهكذا خلق الله مع الظلام الضوء .. ومع السماء الصحوة المطر .. ومع كل شدة خلق الله لها فرجا ..

وكم من مرة صادف الإنسان من الشدائد فى حياته مايعتقد أنها وكأنها ليس لها من حل أو مخرج ..

ثم بلاتدبير أو تفكير منه يجعلها الله وكأنها الرجاء بل وكأنها كانت له يسرا ..

ثم ينسى الإنسان ..

ألا يتذكر قول الله سبحانه وتعالى :

« فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » .

وأعجب من ذلك إذا أصابه خير إطمأن به ..

وإذا مسه الشر جزع منه ..

وهو في قرارة نفسه يعتقد أن ما به ملازمه .

وأن ما عنده أيا كان .. سيصاحبه ..

ألا يتذكر أن الطفل كان جنينا ثم يصبح شاباً فرجلا فكهلا .. فشيخاً هرما .. ثم يفنى ..

ألا يرى نفسه .. كان صحيحاً .. ثم يمرض ليشفى .. وما يلبث أن يمرض كذلك ليشفى .. فلا مرض يبقى .. ولا صحة تدوم .

وهذا رزقه إن اتسع يوما .. فقد يضيق . وإن ضاق لحظة .. فإنما ليزيد .

وهذه أوقات شدته .. مهما كانت انتهت . فلكل شيء مهما كان .. نهاية ..

وهذه أزمات حياته .. لابد أن تنتهى على أى وجه كانت النهاية . .

ولكنه دائماً ينسى .. وكأنه لا يريد أن يتذكر الحقيقة التى تقول إن لكل شىء نهاية طالما له بداية ..

أولا يذكر قول الله سبحانه وتعالى ..

« إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا » .

ومن عجيب أمر الإنسان

أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل له كتابا يقص عليه أنباء ماقد سبقوه .. ويصور له جزاء مافعلوه ..

وطالبه أن يتأمل ويتدبر ..

هل خالد منهم أحد .. وهل دامت لهم حياتهم .. بل هل بقيت قصورهم .. عليه أن يبحث ليتذكر .

ورسم له طريق الخير فى الدنيا والفوز فى الآخرة وما ترك فى الكتاب من أمره شيئاً حتى لا يضل أو يتعثر :

وما أنزله الله سبحانه وتعالى إلا للعلم والتفكر ..

فهل عمل الانسان به تحقيقاً لهدفه .. أم حفظه وردده دون أن يعتبر ؟

وهل نزل القرآن لغير الذكر والتذكر .. ؟

أوليس الله سبحانه وتعالى الذى يقول :

« وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ » .

ومن عجيب أمر الإنسان ..

أنه يعتقد أن هناك أوقاتاً لا بد أن يكون فيها بحالة تناسب قربه من الله ..

فإذا وقف للصلاة تجده قد استعد لها فهو سيكون بين يدى الله .

وإذا صام حافظ على صيامه إذ إنه يعتقد أنه ولا رقيب عليه غير الله ..

وإذا أخرج زكاته .. أحسن إخراجها ومن خير ماعنده فهى استجابة لأمر الله .

وإذا حج البيت نجده قد تغير حاله .. وصفت نفسه ..

وسمت روحه .. فهو يقف على أكرم باب وأطهر بيت .. باب بيت الله ..

فيا ترى .. هذا الإنسان .. فى غير صلاته .. وقبل وبعد صيامه وفى نومه وقيامه .. وفى غير أوقات زكاته .. وبعيدا عن الكعبة والحرم .. أيكون فى غير ساحة الله ..

وهل يكون في لحظة . بعيدا عن الله .. ؟

أليس الله سبحانه هو القائل :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحنُ أَقْرَبُ إليهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ » .

فمتى يعتقد الإنسان ..

بأنه أينما كان .. وفى كل لحظة وزمان ..

إنما هو مع الله ..

ومتى يتصرف كل إنسان فى كل حين وأوان .

تصرف الواثق .. أنه أمام الله ..

ومتى يؤمن ..

أنه أبدا ودائما ..

بين يدى الله

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

(صدق الله العظيم)

مِن أسرار القرآن الكريم

تبدأ تسع وعشرون سورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها مائه وأربعة عشر بحروف بعضها مفردة وهى : ص ، ق ، ن وبعضها ثنائية وهى : طه ، طس، يس ، حم وبعضها ثلاثية وهى: الم ، الر، طسم وبعضها رباعى وهى: المص ، المر ، وبعضها خماسى وهى : كهيعص ، حم عسق.

وثلاثة عشر سورة منها تبدأ حروفها بالألف واللام وسبعة تبدأ بالحاء والميم وأربعة بالطاء وواحدة بكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون .

ويبلغ عدد الحروف المبتدئه بها التسع والعشرون سورة ثمانية وسبعين حرفا إذا استبعد مايتكرر منها نجد أن عددها يبلغ أربعة عشر حرفا وهى :

(ا ، ل ، م ، ص ، ر ، ك ، ه ، ى ، ع ، ط ، س ، ح ، ق ، ن)

وقد اجتهد العلماء منذ قديم الزمان فى تفسير هذه الحروف والوقوف على ما ترمز اليه فكانت موضع السؤال منذ أن تلاها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين عندما نزل الوحى بها . وقد اعتقد البعض أنها من الرموز الحرفية التى تدل على أعداد حسابيه وكان مثل

هذا الحساب معروفا عند اليهود ويطلقون عليه حساب الجمل . فقد قال بن عباس رضى الله عنه أن ابا ياسر بن اخطب واخاه حيا وكعب بن الأشرف مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو قوله تعالى: الم من سورة البقرة فقالوا ننشدك الله الذى لا اله الا هو أحق انها اتتك من السماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت . فقال حى أن كنت صادقا إنى لاعلم أجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل فى دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على أن منتهى أجل امته أحدى وسبعون سنة . فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال حى فهل غير هذا فقال نعم : المص فقال حى هذا أكثر من الأول هذا مائه واحدى وستون سنة فهل غير هذا ؟ قال نعم الر فقال حى هذا أكثر من الأولى والثانية فنحن نشهد ان كنت صادقا ماملكت امتك الامائتين وأحدى وثلاثين سنة فهل غير هذا فقال نعم المر قال حى فنحن نشهد أنا من الذين لايؤمنون ولا ندرى باى اقوالك نأخذ ؟ .. فقال أبو ياسر أما أنا فاشهد على أن انبياءنا قد اخبرونا عن ملك هذه الأمة ولم يبينوا أنها كم تكون فان كان محمد صادقا فيما يقول انى لاراه سيجتمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا الامر كله فلا ندرى أبا لقليل ناخذ أم بالكثير ؟

وهكذا كان مثل هذا الحساب معروفا ومتداولا ولم يؤيده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينفه وهكذا ترك ميدان الاجتهاد مفتوحا فى تفسير هذه الحروف .

وقد رأى البعض أن هذه الحروف من الأسرار التى لا يعلمها الا الله سبحانه وتعالى وبذلك لايكون للبشر علم بها فعن ابو بكر الصديق أنه قال (فى كل كتاب سر وسره فى القرآن اوائل السور)

وكذلك قال عمر وعثمان وعلى وابن مسعود فما تردد القول عنهم فيها (أنها سر الله فلا تطلبوه) ولكن يرد البعض بان الله سبحانه وقد أنزل هذه الحروف فلا بد لحكمة بالغة ولا بد أن يكون لها معنى إن لم يعرفه الإنسان لفترة فسيصل اليه بتوفيق الله وارادته متى شاء الله . وهكذا لابد أن تكون ميدان الاجتهاد بالتأمل والتفكر والتدبر فى كل حين إلى أن تتم مشيئة الله .

وقد قال البعض أن هذه الحروف مقتطعات من اسماء الله سبحانه وتعالى فمثلا الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وهذا تفسير (الم) وان (الر) ، (حم) ، (ن) انما تكون فى مجموعها (الرحمن) وهكذا يمكن أن يدل كل حرف من هذه الحروف على صفة من صفات

الله أوأن تجمع بعضها لتكون اسما من اسماء الله الحسنى.

ومن الاراء الحديثة فى اهداف هذه الحروف مايقرر أن القرآن الكريم قد سبق بها كل طرق شد الانتباه وجذب الاسماع التى لجأت اليها كل وسائل الاعلام فى العصر الحديث .. إذ توصى الدراسات النفسيه الخطباء بان يبدأوا بكلمات معينة تدفع الناس إلى الإستماع والانصات .. ويستعيض البعض عن هذه الألفاظ بالموسيقى أو عزف السلام الرسمى وبتلاوة القرآن الكريم حاليا. فقد عرف أن المشركين كانو يحرصون على عدم الإستماع إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن الكريم ويتواصون بذلك خوفا على انفسهم من سحره والأستجابة له إذا ما انصتوا اليه .. وكان من الشائع بينهم والمعروف عنهم حشو آذانهم بقطع من الصوف أو القطن إذا ما أضطرهم أمرهم إلى الأقتراب من مجلس فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاذا تصادف واستمعوا اليه وهو يتلو هذه الحروف المفردة ظنوا أن الوحى قد انصرف عنه أو أنه اخطأ فى التلاوه .. فحتى يترقبون الخطأ فانهم ينصتون مرغمين ويستمعون مضطرين وتكون النتيجة الحتمية لذلك استماعهم إلى القرآن الكريم بوسيلة من ابلغ الوسائل التى تدعو اليها الدراسات النفسية حاليا بلا ضغط أو ارهاب أو عنف

أو إجبار .. فلا يلبث المستمع أن يتفكر ويتدبر ويتأمل ما قد سمع .. وإذ به يشهد أن ما سمع لا يمكن أن يكون من كلام بشر أو قول إنسان .. فيدخل فى دين الله .

ورأى البعض أن هذه الحروف هى من الأدلة القاطعة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم وأنها السبيل إلى بيان إعجاز القرآن الكريم، فقطعاً يتكون القرآن الكريم من ألفاظ وكلمات تتكون من حروف الهجاء العربية ، فلماذا يظهر القرآن الكريم وهو يغاير كل ما تركب من مثل هذه الحروف . هذه هى أحرف الهجاء الألف واللام والميم والراء وباقى حروفها ، أليست هى الحروف التى يتكون منها القرآن الكريم ؟ فلماذا يختلف القرآن الكريم عن كل ما عرفه العالم من الشعر والنثر والبديع والبيان ؟ لقد أدهش علماء اللغة وأذهل أرباب القلم .. وحير بلغاء العرب .. إنه يتركب من ألفاظ تتكون من حروف لغتهم وما هو بكلامهم . . فهذا الأصمعى يسمع جارية مسلمة تتكلم بعبارة فصيحة وإشارة بليغة وتقول شعراً جميلا فلا يملك الأصمعى نفسه فيقول لها (قاتلك الله ما أفصحك) . . فتقول له (أو يعد هناك فصاحة بعد قوله تعالى :

« وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » .

إذ جمعت الآية بين أمرين ونهيين وخبرين و بشارتين .

لقد وقف شعراء العرب وفصحاؤهم أمام روعة آياته موقف التسليم بأن هذا لا يمكن أن يكون من وضع البشر فأى آية ،مهما كانت قصيرة وألفاظها يسيرة تتضمن معانى كثيرة وتشمل أوجه أعجاز عديدة

ففى الآية الشريفة القصيرة ذات الألفاظ القليلة (وَ لَكُمْ فِى القِصَاصِ حَياة) نجد أنها تشمل معنين متماثلين متضادين هما القصاص والحياة وجعلت القتل وهو إزهاق الحياة سبباً للمحافظة عليها كما أنها تتضمن معانى كثيرة وتقرر حقائق عديدة . ولقد حاولت أجيال العرب أن تعبر عن معنى الآية الشريفة بألفاظ غير ألفاظها فقالوا (قتل البعض أحياء للجميع) ، (أ كثروا القتل ليقل القتل) ، (القتل أنفى للقتل) فوجدوا أن القول الأخير هو أجود أقوالهم ولكنهم قرروا بأن لفظ القرآن أفصح وأفضل وأعظم وأجود من قولهم بعدة أمور منها أن لفظهم لا يدعو إلا إلى الردع عن القتل بخلاف لفظ القرآن إذ يفيد الردع عن القتل والجرح وأى نوع من أنواع الاعتدا. وبأي شكل

كان هذا الاعتداء ، وكذلك فإن لفظهم يقرر أن الشيء يكون سبباً لانتفاء نفسه وظاهر اللفظ لذلك غير واضح وغير مستقيم بعكس لفظ القرآن الكريم الذى يقرران وجود الشيء يسبب نوعا جديداً مغايراً له فالقصاص يسبب حياة . وأيضاً أن لفظهم لا يفيد المقصود الأصلى بعكس لفظ القرآن الكريم الذى يقرر أن المقصود الأصلى هو الحياة.. وكذلك فى لفظهم تكرار للفظ القتل مما يحط من فصاحته بعكس الآيه الشريفة ..وهذا علاوة على ما يحسه السامع من موسيقى وراحة عند سماع لفظ آية القرآن الكريم بخلاف ألفاظ قولهم فانها تثير فى النفس الانزعاج والانقباض .

فهل تختلف حروف ألفاظهم عن حروف القرآن الكريم ؟ . .
ولهذا فان أوائل هذه السور كأنما هى تنبيه إلى ذلك .. ومن الأدلة التى يستند إليها أصحاب هذا الرأى أن عدد الحروف التى بدأت بها هذه السور التى تفتتح بحروف مقطعة أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف اللغة العربية تماماً باعتبار أن حرف (لا) لا يعتبر حرفاً مستقلا إذ أنه لام وألف .

ولما كان القرآن الكريم قد نزل مسموعا لسيدنا رسول الله صلى

الله عليه وتلاه صلى الله عليه وسلم على المسلمين فان صفات هذه الحروف تشمل الصفات الصوتية وتتضمن نصف عدد كل منها .

فحروف الهجاء تنقسم من الناحية الصوتية إلى مهموسة وهى ما يضعف الاعتماد عليها وعند النطق بها يجرى النفس على حروفها وعددها عشرة هى (ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ف ، ك ، ه) وقد جاء فى الحروف التى تفتتح بها بعض السور نصفها أى خمسة حروف هى (ص ، ك ، ه ، س ، ح) .

وإلى مجهورة وهى باقى حروف الهجاء أى ثمانية عشر حرفاً وعند النطق بها يراعى احتباس جرى النفس مع حروفها وقد جاء منها فى الحروف التى تفتتح بها بعض السور نصفها أى تسعة حروف هى (ا ، ل ، م ، ر ، ى ، ع ، ط ، ق ، ن) .

كما تنقسم الحروف الهجائية إلى شديدة ويراعى فيها احتباس جرى الصوت عند إسكان حروفها وعددها ثمانية هى (ا ، ب ، ت ، ج ، د ، ط ، ق ، ك) ونجد أنه جاء منها فى حروف أوائل السور نصفها وهى (ا ، ك ، ط ، ق) والقسم الثانى الحروف الرخوة وهى

ما يجرى الصوت مع حروفها حال إسكانها وعددها باقى الحروف أى عشرين وقد جاء منها فى حروف أوائل السور نصفها تماماً وهى (ل ، م ، ص ، ر ، هـ ، ى ، ع ، س ، ح ، ن) .

وكذلك تنقسم الحروف الهجائية إلى مطبقه وهى ما ينطبق فيها اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بها وعددها أربعة هى (ص ، ض ، ط ، ظ) وجاء فيها من حروف أوائل السور نصفها تماماً أى حرفين هما (ص ، ط) وباقى الحروف منفتحة وهى ما ينفتح فيها اللسان عند الحنك الأعلى عنـــد النطق بها وعددها أربعة وعشرون حرفاً وهى (ا ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ى) وقد جاء فى حروف أوائل السور منها نصفها بالتمام أى أثنى عشر حرفاً هى (ا ، ل ، م ، ر ، ك ، هـ ، ى ، ع ، س ، ح ، ق ، ن) .

ومما يؤيد هذا الرأى كذلك أننا إذا تأملنا وتدبرنا نجد أن الآيات الكريمة اللاحقة لهذه الحروف تشير إلى القرآن الكريم وكأنها تطالبنا أن نتدبر فى آياته التى تتكون من مثل هذه الحروف المذكورة .

ففى بعض السور الكريمة نجد بعد هذه الحروف ذكراً للكتاب وهى :

« الٓمٓ . ذَلِكَ الكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيه هُدًى لِلْمُتَّقِين » .

« الٓمٓ . اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ القَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ » .

« المص . كِتَابٌ أُنْزِلَ إِليكَ فَلاَ يَكن فى صَدْرِكَ حَرجٌ مِنهُ لِتُنْذِرَ به وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين » .

« الٓر كِتَابٌ احكِمتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصلَت مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » .

« الٓر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِليكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُورِ باذنِ رَبِّهِم إِلى صِرَاطِ العَزِيزِ الْحَمِيدِ » .

« الٓمٓ . تَنزِيلُ الكتابِ لاريبَ فِيهِ مِن رَبِّ العَالَمِين » .

« حم . تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ العَليمِ » .

« حم . والكتابِ المُبينِ . إنَّا جعلناهُ قرآناً عربياً لعلَّكم تعقلُون » .

« حم . والكتابِ المُبينِ . إنَّا أنزلناهُ في ليلةٍ مُباركةٍ إنَّا كُنَّا مُنذرِينَ » .

« حم . تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ الحكيمِ » .

« حم . تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ الحكيمِ » .

وفى بعض السور الأخري نجد ذكر القرآن الكريم صراحة بعد هذه الحروف مباشرة وهى : —

« طه . ما أنزلنا عليكَ القرآنَ لِتشقَى »

« يس . والقرآنِ الحكيمِ » .

« ص . والقرآنِ ذِي الذكرِ » .

« قٓ والقُرْآنِ المَجِيدِ » .

وفى بعض السور نجد أن بعد هذه الحروف التأكيد بأن منها تتكون آيات الكتاب وهى :

« آلر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكيمِ » .

« آلر تِلك آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تعقِلُونَ » .

« آلمر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ والذِيأُنزِلَ إِليكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ » .

« آلر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرآنٍ مُبينٍ » .

« طسٓم . تلك آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ » .

« طسٓ . تِلكَ آيَاتُ القُرآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ » .

« طسم . تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ المبِين » .

« الٓمٓ . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ » .

وفى سورة من التسع والعشرين سورة التى تبدأ بهذه الحروف نجد بعد ذكر الحروف التقرير القاطع بأنها وما بعدها تنزيل من الله بالنص الشريف :

« حمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » .

وفى سورة أخرى نجد نصا صريحا بعد هذه الحروف يقرر أن من هذه الحروف يوحى الله سبحانه للرسول وللرسل من قبله وذلك بالنص الكريم :

« حمٓ . عسٓقٓ . كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وعدد هذه السور خمس وعشرون سورةوأما باقى التسعوالعشرين سورة وقدره أربعة سور فلا تشير الآيات اللاحقة للحروف إلى ما تشير إليه الخمس والعشرون سورة السابقة إذ أن بدايتها هى كما يأتى :

« كهيعص . ذِكْرُ رَحمَتِ ربكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا » .

« الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُترَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفتَنُونَ » .

« الم . غُلِبَتِ الرُّومُ » .

« نۤ والقلَمِ وَمَا يسْطُرُونَ » .

ولعل عدم إشارة الآيات اللاحقة للحروف فى هذه السور الأربع إلى القرآن الكريم إنما لتوجيه النظر إلى البحث فى أسرار هذه الحروف فلو كانت كل السور التى بدأت بالحروف تشير آياتها إلى القرآن الكريم لاكتفى المسلمون بهذا الرأى فى الحروف . ولكن الله سبحانه وتعالى يطالبنا بأن نتأمل هذه الحروف ونتدبرها ونتدارسها حتى نصل فى الزمن الذى حدده سبحانه وتعالى إلى كشف أسرارها .

وقد رأى البعض فى هذه الحروف أراء أخرى منها ما قيل بأنها الحروف المميزة للسورة فمثلا نجد أن سورة القلم التى تبدأ بالحرف (ن) والتى يبلغ عدد آياتها اثنان وخمسين آية قد تكرر هذا الحرف

فيها مائةو إحدى وثلاثين مرة و يبلغ عدد الآيات التي تنتهي بهذا الحرف اثنتين وأربعين آية وباقي الآيات العشر تنتهي كلها بالحرف ميم الذي يقارب حرف النون . وسورة (ق) التي تبدأ بهذا الحرف يتكرر سبع وخمسين مرة في آياتها التي عددها خمساً وأربعين آية . وسورة العنكبوت التي تبدا بالحروف الم نجد أن الحرف ميم هو المميز بها إذ أنه قد تكرر في آياتها التي تبلغ تسعاً وستين آية ثلاثمائة واثنان وثلاثين مرة.

ومنها ما يقال بأن هذه الحروف إنما توجه النظر إلى آيات تبدأ بمثلها أو بحرف منها أو توجد بها في نفس السورة فمثلا في سورة البقرة التي تبدأ بالحروف (الم) نجد بها آيات فيها أو تبدأ بهذه الحروف وهي :

« مَا نَنسَخْ مِن آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

« أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ » .

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ

الموتِ فقالَ لهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُم إِنَّ اللهَ لَذُو فضلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ » .

« أَلَم تَرَ إِلى المَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بعدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍ لهم ابعَثْ لنَا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَل عَسيتُم إِن كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ أَلاَّ تُقاتِلُوا قَالُوا ومَا لنَا أَلاَّ نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجنا مِن دِيَارِنا وَأَبْنَائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلوا إلا قليلاً مِنهُم وَاللهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ» .

« أَلَم تَرَ إِلى الذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبه أَنْ أَتَاهُ اللهُ المُلكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » .

وفى سورة لقمان التى تبدأ بالحروف (الم) نجد آيات تبدأ كذلك بهذه الحروف وهى :

« أَلَمْ تَرَوا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرضِ واسبَغَ عَليكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاس مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتاَبٍ مُنِيرٍ » .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ يُجْرِى إلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمتِ اللهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ » .

وفى سورة الجاثية التي تبدأ بالحرفين (حم) نجد أن الحياة والموت يتكرر كل منهما فى هذه الآيات فهل تشير الحاء للحياة والميم للموت

وهل هذين الحرفين لتوجيه النظر إلى هذه الآيات إذ أن الآيات التى ورد فيها الحياة والموت فى هذه السورة التى عدد آياتها سبع وثلاثين هى :

« واخْتِلاَفِ اللَّيْـلِ والنَّهار وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقوم يعلمُونَ » .

« أَمْ حَسِبَ الذينَ اجتَرحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَـوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحكُمُونَ » .

« وَقَالُوا مَاهِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِن عِلْمٍ إِن هُم إِلاَّ يَظُنُّونَ » .

« قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ الى يوم القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ » .

وفى سورة الدخان التى تبدأ بالحرفين (حم) نجد آيتين قد جاء فيهما (حميم) وهما :

« كَغَلْيِ الْحَمِيمِ » ، « ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ » . .

فهل يوجه هذين الحرفين النظر الى هاتين الآيتين ؟ . .

وسورة طه التى تبدأ بالحرفين طه تجد أنها تقص قصة سيدنا موسى وورد فيها ذكر مكانين هامين فى القصة وهذان المكانان يبدآن بالطاء وهما (طوى) الواد المقدس و (الطور) الذى واعد الله بنى اسرائيل جانبه الأيمن ونزل عليهم المن والسلوى والآيتان هما :

« إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى »

« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى » .

ويرى البعض أن هذه الحروف إنما هى مفتاح تلاوة السورة فإن القرآن الكريم إنما نزل تلاوة وأبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم الى صحابته كذلك وهذه الحروف إنما لضبط درجة الصوت وبيان حالته

وإذا كان اليهود فى عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ربطوا بين بعض هـذه الحروف و بين حساب الجمل فضحك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ربطوا حروف السورة الواحدة وهذا الحساب . . . فهل ترى يشير حساب الجمل لـكل الحروف التى بدأت بها التسع والعشرون سورة مـن سور القرآن الـكريم إلى شىء . . ؟ . . وما هو؟

إن الرقم الذى تشير إليه كل هذه الحروف هو ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وثمانون . . فهل هو عـدد لسنين أم لأجيال ؟ . . و بعد هذه السنين من نزول القرآن الـكريم . . ماذا يتحقق . . أو ماذا يتم . . ؟ . . أم ترى أن هذا الرقم إنما يشير إلى شىء آخر . غير عدد من السنين والأجيال ؟ . .

ترى هل هذا كل ما تشير إليه هذه الحروف ؟ .

أم يمكن أن يكون لها وجهاً آخر من الإعجاز ؟ .

وهل تـكون هذه الحروف هى السبع مثانى التى جاء ذكرها فى القرآن الـكريم فى معنى الآية الشريفة :

(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)

لقد قال بعض العلماء أن السبع مثانى هى فاتحة الكتاب وآياتها سبع ومن هذه السبع آيات ... البسملة التى عدت آية. وسميت مثانى لأنها تثنى فى كل صلاة بقراءتها أو لأنها تحمل الثناء على الله . وإذا تأملنا هذا الرأى نجد ان البسملة التى عدت آية فى فاتحة الكتاب لا تعد آية فى سور القرآن الأخرى، وأما أنها تثنى فى كل صلاة فنجد أن فى صلاة المغرب حيث الركعات ثلاث لا تثنى فيها الفاتحة إذ تقرأ ثلاث مرات.. وأما أنها تحمل الثناء على الله فإن جميع سور القرآن الكريم تحمل الثناء على الله لا شك .

وقيل إن السبع مثانى هى السبع سور الشريفة الطوال (البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف و « الانفال والتوبة » على أنها سورة واحدة إذ لا تبدأ الأخيرة بالبسملة) وسميت مثانى لأن القصص والأحكام والحدود ثنيت فيها وكررت .

وقيل إنها جميع القرآن إذ تقول الآية الشريفة :

« اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ » .

ولكن مثانى فى هذه الآية معناها التكرار والإعادة إذ يجب على الإنسان أن يعاود ويكرر تلاوته ويجد فى هذا التكرار وفى الإعادة الراحة والاشتياق إلى الإعادة .

وقيل إنها الثناء من الله على سيدنا محمد إذ ورد فى القرآن الكريم صفات تعتبر ثناء من الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل :

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ، « لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِين رَؤُوفٌ رَحِيم » .

ولكن إذا تأملنا وتدبرنا الآية الشريفة التى وردت فيها هذه السبع المثانى وهى :

« وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِى وَالقرآنَ الْعَظِيمَ » .

نجد أن الآية صريحة فى أن السبع المثانى تسبق القرآن الكريم فيها كما تسبق الحروف التى تبدأ بها بعض أوائل السور آياتها . . فكل الحروف التى تبدأ بها التسع والعشرين سورة إنما تسبق آياتها قطعاً .

وكذلك عدد هذه الحروف أربعة عشر حرفاً أى سبعة أزواج أو سبعة مثانى . .

وأن الآية تفيد أن هذه السبع مثانى ليست هي القرآن الكريم كله أو سورة منه كما يقول البعض أو بعض سوره . كما أنها تشير فى وضوح إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضله ونعمه أمرين عظيمين أولهما السبع مثانى والثانى القرآن العظيم . . وفى كل سور القرآن التى تبدأ بالحروف نجد أولها الحروف ثم الآية الكريمة مباشرة . . .

فأى سر تحمله هذه الحروف التى أكرم الله بها رسوله كما أكرمه بالقرآن العظيم ؟ . . ومتى يصل الإنسان إلى معرفة هذا السر ؟ . . وهل ستكون هذه الحروف هى وجه إعجاز القرآن الكريم للأجيال القادمة ولعصر ما بعد العلم . . ؟ .

إن القرآن الكريم قد أنزله الله سبحانه وتعالى لكافة الناس ولكل العصور وجعله خاتم الكتب السماوية للبشر كما جعل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه القرآن خاتم الرسل والنبيين لذلك نجد أن القرآن الكريم يحمل من أوجه الإعجاز ما يجعله موضع الاقتناع وطريق الدعوة ودليل المعجزة لكل قوم وفى كل

زمن . ففى عهد البلاغه والأدب . . ولكل من يجيد الكتابة واستعمال القلم نجد أن بلاغه القرآن وفصاحته وتراكيبه وبيانه هى الدليل الذى لا يبارى على أنه ليس من صنع البشر وأنه وحى رب العالمين على على رسوله الأمين . .

وفى عهود التقنين والتشريع وفى مؤتمرات الحقوق والواجبات وجدنا أن تشريعاته وأحكامه هى أعدل ما يمكن أن توضع للبشر وأنها تسبق كل تفكير بشرى فيما له علاقة بالتشريع وأنها أتم وأكمل ما عرف البشر ولا يمكن أن يصل إلى مستواها أى جيل فى أى عصر . كان . .

وفى عصر العلم والعلماء . . وفى هذه الآونة التى يعتقد الإنسان أنه قد وصل إلى ما كان يعتبره حلماً . . فوصل إلى قمة العلم . . حطم الذرة واستخدمها واقترب من النجوم والكواكب . . واستخدم العلم فى كل مرافق حياته . نجد أن القرآن الكريم تشع آياته الكريمة من الأضواء الربانية ما أظهر إعجازه وخر العلم والعلماء ساجدين لرب القرآن الكريم . . فقد أظهر العلم الحديث بما وصل إليه من حقائق أن القرآن الكريم قد سبقه إلى إيراد هذه الحقائق صراحة و بوضوح تام . . ولكن جهل الناس بالعلوم لم يمكنهم من فهم الآيات الشريفة . . فهما صحيحاً . ولم تقتصر معجزة القرآن الكريم

العلمية على علم بعينه أو قطاع من الحياة وحده . . وإنما وجدنا آيات التشريع . . وآيات علم الأجنة . . والصحة . . والطب بكل أفرعه والنبات والكمياء والزراعة . . والجغرافيا والتاريخ والقانون والفضاء . . وابحاث الذرة . . وما وراء الطبيعة . . وغيرها . .

فيا ترى ماذا سيكون بعد عصرنا هذا ؟ . . وأى اسم سيطلق عليه . ؟ . وأي طابع سيميزه ؟ . . وأيا كان أسمه وطابعه . . ترى أى وجه جديد من الإعجاز ستجده أجياله فى القرآن الكريم ؟ .. هل ستكون هذه الحروف المفردة هى وجه إعجازه إذ يكتشفون أسرارها . . فيكون شأنها كالآيات الشريفة العلمية التى وصل إلى معرفة أسرارها جيلنا الحالى ولم تتعرفها الأجيال السابقة . . .

إن من ضمن إعجاز القرآن الكريم أن تجد للآية الواحدة أكثر من وجه من أوجه الاعجاز . . فالآية الواحدة وجد فيها الأدباء الفصاحة والبلاغه ووجد فيها المشرعون . العدل والكفاية . . ووجد فيها العلميون حقائق لم يعرفها البشر إلا فى عصر العلم . .

أفلا تكون هذه الحروف المبتدئة بها بعض سور القرآن الكريم كذلك ؟ . . ويكون لها أكثر من وجه من الإعجاز . .

إن علينا أن نتدبرها ونتأملها ونطيل التفكير فيها . . ففى هذه الأربعة عشر حرفا سر قاطع يقينا بل أسرار لم نعرف عنها شيئاً بعد . . فهذه الحروف لم تنزل هكذا إلا لحكمة بالغة وأمر خطير . . ولم تسبق هذه الحروف آيات القرآن الكريم إلا لمكانتها وقيمتها . . والله سبحانه وتعالى عندما يذكر فضله واحسانه على رسوله فإنما ذكر هذه الحروف أولا ثم القرآن الكريم وما ذلك إلا لأهمية هذه الحروف وخطورتها .

وإذا كنا قد عرفنا طريق الوصول إلى ما أراده الله جل شأنه لعباده من خير بالقرآن الكريم فنحن نقرأ القرآن الكريم تنفيذاً لأمر الله سبحانه بالنص الشريف :

« فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » .

ونرتل آياته وما ذلك إلا لنتدبرها ونتفكر فيها ونتأملها وذلك استجابة لمثل الآية الشريفة :

« كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ » .

ثم تكون نتيجة ذلك ... الاستجابة لآياته بالعمل بها وتنفيذها وبذلك يفوز الإنسان فى الدنيا ،ففى الاستجابة لآيات القرآن الكريم الشفاء من كل ما قد يصيب الإنسان فى نفسه وروحه وبالتالى ينعكس على جسده وكذلك يفوز الإنسان فى الآخرة فالاستجابة لآيات القرآن الكريم هى وسيلة الرحمة يوم تهفو النفوس وتتعلق الأرواح برحمة الرحمن الرحيم .. وصدق الله العظيم إذ يقول جل شأنه :

« وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » .

فما هو الطريق إذن إلى هذه الحروف ؟ .. وكيف السبيل إلى سرها ؟ ..

لقد وصل العلم إلى حقيقة مؤكدة عن وحدة الوجود .. فبعد أن كان المعروف أن وحدة الوجود هى الذرة لأنها بلغت حداً من الصغر جعل العلماء يعتقدون أنها لا تنقسم بعد ذلك فذرة الايدروجين مثلا صغيرة إلى حد يبلغ أننا لو وضعنا مائتين وخمسين مليونا من ذرات الأيدروجين جنباً إلى جنب لما شغل ذلك إلا بوصة واحدة .. تمكن العلماء من تحطيم الذرة .. ووجدوا أن بالذرة كهارب تناهت فى الدقة والصغر إلى درجة تشير إلى عظمة الخالق القدير .. فالذرة تتكون من

الـكترون إذا وضعنا مائتى ألف منها جنباً إلى جنب لـكان ذلك قدر الذرة . .

وأما البروتون فإن قطر الالـكترون الواحد يسع ثمانية عشر ألفا من البروتونات .. وأن هذه الالـكترونات والبروتونات يحكمها جميعاً الشيء الواحد المشترك .. الحركة .. الاهتزاز .. فإنها جميعاً فى حركة إن اختلفت فى مظهرها فإنها تتفق جميعاً فى اهتزازها .. وعلى هذا فان وحدة الوجود انما هى الحركة أو الاهتزاز وتغير الحركة أو الاهتزاز إنما يغير الشيء من أصله ويجعله شيئا آخر . . بل إن تغير الحركة أو الاهتزاز يغير الشيء من مادة إلى طاقة .. بل هذا التغير فى الاهتزاز هو الذى ينقل الإنسان من الحياة ذات الاهتزاز المعين .. إلى الحياة الأخري ذات الاهتزاز المحدد المغاير لاهتزاز حياتنا الأرضية . .

وما دام الإنسان شأنه شأن غيره .. إنما هو اهتزاز . . وأن اهتزاز الأحياء إنما هو فى حدود معينة فإن لـكل حى درجة اهتزاز ينتج عنها أخلاقه وتصرفاته وطباعه وعن طريق تغيرها يمكن تغير كذلك حالته . . ويؤكد هذا . . التوافق . . والانسجام . . الذى يرتبط به إنسان بغيره دون أن يكون هناك سابقة قيام علاقة طويلة بينهما وكذلك التنافر الذى يشعر به الانسان من غيره دون سبب واضح ..

وما ينطبق على الإنسان ينطبق كذلك على الأشياء .. فكم يرتاح الإنسان عند ارتياد مكان بعينه . . وينفر من مكان آخر . . ومن أكل . . بعينه .. ومن لون معين . وكل اهتزاز يصل إلى الانسان إنما يؤثر فيه إلى درجة ما . . وبصورة ما . . فالموسيقى مثلا ثبت أنها تجلب النوم للإنسان إن كانت بدرجة معينة .. وتثير نشاطه إن كانت بصورة أخرى . وتسعده وتريحه إن كانت بطابع خاص . وتؤلمه وتبكيه إن كانت بنغمة معينة .. بل أن تأثير الموسيقى على الكائنات الحية الأخرى غير الانسان أصبحت معروفة ومؤكدة بعد أن أثبتتها التجارب العملية العلمية العديدة . . فالنبات يزداد نشاطه ويتحسن إثماره بالموسيقى والحيوانات التى تدر اللبن زاد أدرارها زيادة كبيرة وهى تسمع الموسيقى وكذلك كما أن العويل والصراع يفزعان الانسان ويسببان له الاثارة . . فأن صوات الطبول الرهيبة ، تزعج الحيوانات وتمنع أدرارها للبن .

وتأثير الاهتزاز على الانسان لا يقتصر على الاستماع . فان الأشعة التى أصبح استخدامها فى العلاج أمراً واسع الانتشار إنما هى علاج عن طريق الاهتزاز .. فالأشعة ، أياً كانت مرئية أو غير مرئية إنما هى اهتزاز . ويتعدى تأثير الاهتزاز إلى الرؤية فإن رؤية الانسان لمنظر ما .. قد

يريح أعصابه ويهدىء من ضربات قلبه . بينما منظر آخر يثير أعصابه ويزيد من نبضه . وأيضاً حديث الانسان . . فإن ما يتحدث به يؤثر عليه تأثير بالغ الأهمية . وترديد الانسان لجملة ما .. أو اسم بعينه يؤثر كذلك على حاله تأثيراً كبيراً ومن شاهد حلقات الذكر حيث يستغرق الانسان في ترديد اسم الله أو تكبيره نجد أن الانسان الذاكر فى حالة تخالف حالة الانسان الطبيعية . . لونه . . وإحساسه . . وشعوره . . ووجدانه . بل العالم الذى يعيش فيه فى لحظاته .. ولا يمكن أن يصف الانسان ما يعتريه لحظتها . . فإن الذاكر نفسه . . يعجز عن الوصف والافصاح .

وقد أعلن العلماء أخيراً أن لكل جسم سواء أكان لكائن حى نبات أو حيوان أو إنسان أو لجماد فى أى حالة من حالاته مجالا مغناطيسياً إذ تخرج منه موجات اشعاعية وقد أمكن تسجيلها بآلات خاصة وعلى ألواح تصويرية معينة وأنه إذا أمكن تغيير هذه الموجات الاشعاعية بطريقة أو أخرى عن طريق أى اهتزاز سماعى أو مرئى أمكن تغيير حالة هذا الجسم . فالانسان مثلا يمكن بدراسة مجاله المغناطيسى فى حالة معينة أن يغير هذه الحالة إلى الأحسن أو العكس

بتدخل موجات أخرى فى موجاته . . ويحاول العلماء بذلك الربط بين تغير عواطف الإنسان ورؤية منظر أو سماع صوت . . بل بين تغير الإنسان بتغير حالة النجوم ودورانها والشمس والقمر وحالاتهما .

ومن ضمن وسائل تغير موجات الإنسان هذه...غير الرؤية والإستماع الخارجى . . الإستماع الداخلى بالترديد سراً . . إذ الترديد جهراً . . هو من ضمن أنواع الإستماع الخارجى . .

فهل يا ترى ترديدنا لهذه الحروف التى تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم سيكون طريق الوصول إلى معرفة أسرارها ؟ . .

وهل هو ترديد . . أو ترتيل . . أو مجرد تركيب بعض الحروف وهل لكل الحروف بترتيب ورودها فى القرآن الكريم أم تركيب حرفين .. أو ثلاثة . . أو أكثر . . أو أقل .. وهل لكل حرف . . حرف آخر . يتركب معه .. لينطلق السر .. ؟ ..

أن من بين هذه الحروف حرفين بتركيبهما كان كل ما فى الوجود ويتم بهما كل أمر هما الكاف والنون فإذا أراد الله سبحانه وتعالى شيئاً اجتمع الحرفان فيكون ما شاء .. وذلك بالنص الشريف :

« إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » .

وحرفان آخران .. كان يرددهما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ما نزل الى الحرب هما الحاء والميم وسئل مرة عنهما فقال (حم حمايتنا) . . فهل فى هذين الحرفين سر النصر ؟ . . وهل بهما نزلت الملائكة لتحارب معه بأمر الله سبحانه وتعالى اذ تقول الآيات الشريفة فى القرآن الكريم :

« إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ » .

« إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ . بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ » .

ترى كيف تكون تراكيب الحروف الأخرى ؟ .

وكيف السبيل الى الوصول الى أسرارها ؟ .

ومتى يصل الانسان الى معرفتها ؟ .

وترى كم وجه من الإعجاز تحمله هذه الحروف ؟ .

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) .

صدق الله العظيم

أشهد أن لا إله إلا الله...

وأن محمداً عبده ورسوله..

إن أول ركن من أركان الإسلام أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . .

وعقيدة الوحدانية هي أساس كل دين منذ بدأت الأديان الى أن إنتهت بالإسلام . . وكلمة التوحيد هي الكلمة التي اجتمعت عليها كافة الرسل والأنبياء وإن أختلفت ألفاظها وتعددت لغاتها فكلها تلتقي حول حقيقة واحدة .. هي الدعوة الى وحدانية الله . . ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة في آياته الشريفة مثل : —

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) .

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) .

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) .

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) .

(يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) .

وليس أقطع على أن كافة الرسل على الإطلاق إنما كانت دعوتهم لا اله الا الله من الآية الشريفة التى نصها :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) .

وأما دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للتوحيد فإنها تتكرر فى جميع سور القرآن الكريم حيث تقرر آياته الشريفة هذه الحقيقة وتورد الأدلة والبراهين العقلية والنظرية على توحيد الله ...مثل الآيات الشريفة :

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَاهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ)

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ

أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) .

وأحاديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم الشريفة التى تؤكد إجماع الرسل على كلمة التوحيد كثيرة مثل حديثه الشريف (خير ما قلت أنا والنبيون قبلى لا إله إلا الله) .

أما أحاديثه التى دعا بها إلى التوحيد فكثيرة وكلها تهدف إلى ما أرسل به إلا وهو التوحيد مثل (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة) ، (لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله ، فقيل يا رسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله ؟ قال من لم يقل لا إله إلا الله ، فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها) ، (ليس على أهل لا إله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم كأنى أنظر إليهم عند الصحية ينفضون رؤسهم

من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يوصى ويقول (قولوا لا اله الا الله تفلحوا) . .

والإسلام عند أمر بالتوحيد انما طالب المسلمين به بطريقة إنفرد بها اذ دعاهم الى الشهادة فجعل أول ركن من أركان الإسلام أن يشهد الإنسان ان لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتتردد هذه الشهادة فى النداء الى الصلاة وفى الدعوة الى إقامتها . . وعلى كل مسلم يستمع الى الأذان أن يردد هذه الشهادة . . كما أنها الأساس فى التشهد الذى يعتبر ركناً فى الصلاة .

وطالبنا القرآن الكريم صراحة بهذه الشهادة فى آيات كثيرة مثل : —

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ) .

هذه الشهادة التى هى كلمة التوحيد عند المسلمين والتى نعيش ونحيابها ونموت ونبعث عليها . ما أجدر الإنسان أن يتأملها ويتدبرها ويتفكر فيها . . فإنها انما تشير الى حقائق وتحمل معانى أكثر عمقاً وأبعد غوراً مما نعتقد . وتدعونا الى شىء لم يسبق به غير الإسلام ..

ترى ما معنى الشهادة ؟ . .

أهل مجرد ترديد القول باللسان ؟ . . أم الإقتناع والإعتقاد ؟ . . أم ترى أنها أكثر عمقا من ذلك أيضا ؟ .

إن الشهادة معناها الواضح الصريح الذى لا لبس فيه أو ظن هو الرؤية . . فمن شهد شيئا فقد رآه فعلا . . فالذى شهد واقعة يكون قد رآها عن بينه وليس من سمع عنها أو تواتر إليه خبرها أو حتى اعتقد اعتقاداً جازماً بحدوثها يكون قد شهدها ..

فالشهادة إذا إنما هى أخطر وأعمق مما قد يظن الإنسان . .

فعندما نشهد ان لا اله إلا الله نكون اذا قد أقررنا وأعترفنا أننا رأينا وشاهدنا الحقيقة الجلية الواضحة القاطعة بأن لا اله الا الله .. حقاً وصدقاً وعدلا وفعلا . .

وإذا كانت العين هى طريق المشاهدة . . والقلب هو مكان

الإقرار والإعتقاد ترى: هل من سبيل إلى مشاهدة ان لا اله الا الله بالعين . ؟ . . وكيف . . ؟ . .

إذا نظر الإنسان فى كل ما حوله . . فى السموات ومافيها من نجوم وكواكب . . وأفلاك ومجرات . . وشهب ونيازك . . ويرى هاته الملايين منها التى لا تعد ولا تحصى والتى تختلف فى بريقها وومضاتها . . وأبعادها وأحجامها ، وكيف أنه لامكان فى السماء لفراغ أو خلاء . . وعندما ينظر إلي الأرض وما فيها من نبات متغاير الألوان .. متباين الأشكال .. مختلف الأثمار .. ومن حيوانات كثيرة الأصناف . . متعددة الأنواع ومن طيور وحشرات . . وجراثيم وهوام . . وكل هذه النباتات بأصنافها . . والحيوانات بأنواعها والطيور بأشكالها . . والحشرات بأجيالها . . والجراثيم وأضرابها . . كلها إنما تكون حلقات متماسكة متلاحقة لتقوم الحياة .. فهل إذا نظر الإنسان الى ذلك . . هل يملك الا الإقرار بوجود الله جل شأنه أوليس هذا ما تهدف اليه مثل الآية الشريفة :

(قُلِ انظروا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتِ والنُّذُرُ عَنْ قَومٍ لاَ يؤْمِنُونَ) .

ثم ينظر الإنسان فيجد النظام الواحد . . والتناسق التام ويعرف ما تشير اليه الآية الشريفة :

(لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرشِ عَمَّا يَصِفُونَ) .

فهل يملك الإنسان إلا التسبيح لله وحده . . والشهادة بأن لا آله الا الله .

وإذا نظر الإنسان إلى الأرض الخامدة وهي سوداء كالحة أو زملية قاحلة لا حياة فيها . . ثم فجأة تهطل الأمطار وتدب الحياة فى الأرض . . من فوقها في سوق النباتات وأوراقها . . وتحتها فى جذور النباتات وعقدها . . واذ على النباتات تحط الأصناف من كائنات حية مختلفة . . فنجد الحشرات والطيور . . والنحل والنمل . . والدود الصغير والكبير . . واذ بالسكون ينقلب إلى حركة . . والموت إلى حياة . . ألا يكون الإنسان قد رأى بعينيه ما تنص عليه الآية الشريفة :

(فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيفَ يُحيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ المَوْتَى وَهُوَ عَلَى شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

وألا يكون قد شهد بعينه الآثار الواضحة التي تدل على وجود الله سبحانه وتعالى ورحمته . .

وعندما ينظر الى طعامه .. فيرى أن الماء قد أنزله الله من السماء ثم قدرته جل شأنه هي التي تشق الأرض أيا كان نوعها ومهما كانت درجة صلابتها لتخرج منها النبتة الصغيرة الهشة الضعيفة ... ثم من هذا الماء وهذا الطين يخرج الحب والفاكهة والخضر والورد . . ألا تكون العين قد شاهدت بعض مظاهر قدره الله وأدلة وجوده وشواهد عظمته وأليس إلى ذلك تدعونا الآيات الشريفة :

(فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنعَامِكُمْ) .

وإذا نظر الإنسان أفغير الله أسقط من السماء الماء ؟ وهل أخرج الزرع من الأرض غيره ؟ . ألا يشهد بأن لا إله الا الله . . وأليس فى ذلك تقول الآية الشريفة :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذ كُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) .

و اذا نظر الإنسان كيف خلق . . لوجد أنه خلق من ماء دفق من الأب والأم . . ولا دخل له ولا لهما فى تكوينه . . ولا إرادة له أو لهما فيه .. ولا تحكم له أو لهما فى جنس ما يخلق . . ألا يؤمن بوجود خالق قد خلقه .. واذا نظر الإنسان الى ذلك ألا يكون ذلك استجابة لدعوة القرآن الكريم بالنص الشريف :

(فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ . مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ) .

و إذا نظر الإنسان إلى الجنس البشرى ووجد إختلاف الألسنة

والألوان ... وأن كل فرد له صورته المستقلة المغايرة لغيره . ألا يشهد أن لا أله إلا الله .. أو ليس فى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَمِنَ النَّاسِ والدَّوَابِّ والأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

وينظر الإنسان إلى نفسه وغيره فيعجب كيف من تراب خلقوا ثم إذا بهم بشر ينتشرون .. وكذلك كيف أن التراب الواحد يخلق منه الذكر والأنثى .. وليس الذكر كالأنثى .. ثم يحس كل جنس بميل ومحبة ومودة إلى الجنس الآخر وما ذلك إلا ليعمر الكون . . فهل يملك الإنسان إلى أن يشهد بالله ويشهد آيات الله .. أو ليست هذه آيات واضحات بينات وصدق الله العظيم الذى يقول فى القرآن الكريم :

(وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُم بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) :

وهكذا يتابع القرآن الكريم توجيه النظر إلى مشاهدة آيات وجود الله ووحدانيته الظاهرة فى كل ما حول الإنسان . .

فى الطير وهو مسخر فى الجو فى السماء .. ترى من يمسكه ..ومن يجعله يقبض ويبسط جناحيه فإذا به فى الهواء يطير . . كيف شاء . . وذلك بنص مثل الآية الشريفة :

(أَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

فى دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس وتظهر هـــذه الحركة بحركة الظل الذى يتحرك ولو أراد من حركها لجعلها ساكنة فاسكن الظل عن الحركة .. وذلك بنص الآية الكريمة :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) .

. . . فحركة الشمس الظاهرة لأعيننا . . إنمـا هى الدليل على حركة الأرض .

ولو نظر الإنسان إلى تعاقب الليل والنهار .. واختلاف كل منهما عن الآخر .. واختلاف كل ليل عن الآخر .. واختلاف كل نهار عن الآخر .. وذلك استجابة للآيات الشريفة مثل :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) ، (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

... ألا يشهد ويؤمن إيمان من رأى الحق الواضح بأن الله موجود .؟

ولو نظر الإنسان إلى كل ما فى الأرض لوجده مسخراً لخدمته . لو نظر إلى البحر لوجد الفلك تجرى .. ترى كيف تجرى ..؟ وينظر إلى السماء ويعجب كيف لا تقع على الأرض ..؟ أليست هذه آيات بصرية يراها كل إنسان ..؟ أو ليس فى ذلك يقول القرآن الكريم

موجها نظرنا فى نص مثل الآية الكريمة :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) .

.. ألا يشهد الانسان بعد ذلك بالله ..؟

وأما النظام العام .. وأما التناسق التام فيكفى للإنسان أن ينظر إلى الوجود نظرة شاملة فإذا ببصره يرتد إليه وقد أعلن إيمانه .. وشهد بالوحدانيــة وتوجهنا آيات القرآن الــكريم إلى ذلك فى الآيات الشريفة :

(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَـاوُتٍ فَارْجِـعِ الْبَصَرَ هل ترى من فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِـعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيــكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) .

كل هذه الآيات إنما جعلها الله سبحانه وتعالى أدلة مرئية وشواهد نظرية على وجود الله جل شأنه كما تنص الآيات الشريفة مثل :

(أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأَرضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرعاً تأكلُ مِنهُ أنعامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أفلا يُبْصِرُونَ) ، (وَفِي الأرضِ آياتٌ للمُوقِنِينَ . وَفِي أنفُسِكُمْ أفلاَ تُبصِرُون) .

وهذه البصائر التى أرادها الله للمشاهدين ليشاهدوا الأدلة القاطعة والآيات المبينة التى هى سبب هداية الناس وإيمانهم إذ تقول الآية الكريمة :

(قَدْ جاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَبِّكم فَمَنْ أبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيهَا وَمَا أنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) .

وهى آيات يتضح خطورتها وأهميتها بالقسم العظيم فى القرآن الكريم ونصه :

(فَلاَ أُقسِمُ بِمَا تُبصِرُونَ . وَمَا لاَ تُبصِرُونَ . إنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) .

والذين شهدوا لهم الجزاء الأوفى فشاهداتهم فى الدنيا هى وسيلة الإعداد للمشاهدة الكبرى فى الآخرة . . ولا يعرف الإنسان قدر هذا الجزاء والنعيم الذى وعد به . . إلا أن آيات القرآن الكريم تقرر أن المؤمنين يدعون الله سبحانه وتعالى أن يكتبهم مع الشاهدين . فهى مرتبة تعلو على كل مرتبة يتخيلها الإنسان فتقول الآيات الكريمة:

(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أنزَلْتَ واتَّبَعْنا الرَّسُولَ فاَكْتُبْنا مع الشَّاهِدِينَ) ، (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) .

فالمؤمنون الذين آمنوا واتبعوا الرسول يدعون ربهم أن يكتبهم مع الشاهدين . . فهى منزلة . . يطمع فيها حتى هؤلاء الذين تفيض أعينهم بالدمع عندما يسمعون القرآن الكريم ويعرفون أنه الحق وقد آمنوا . .

هذا هو معنى الشهادة . .

وأما أهدافها فكثيرة .. وكثيرة جداً .. وخطيرة وخطيرة جداً ..
فالشهادة هى وسيلة ذكر الله بالعين هذا الذكر الذى يطالب به الإنسان
والذى توعد القرآن الكريم الغافلين عنه .. ولا جزاء لهؤلاء الغافلين
الا جهنم وذلك بالنص الشريف :

(وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا . الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا) .

والشهادة بالعين طريق التصديق بالقلب والإقرار بالعقل . . .
ومن طريقها تنفتح للمشاهد آفاق شاسعة ويسبح فى أنوار ساطعة
ويحس برحمات واسعة . . فالعين إذا ابصرت . . فقد رأت . .
وإذا رأت فقد شاهدت .. والمشاهدة لا تتم الا فى نور ..وسبحان نور
السماوات والأرض ونور ما فيهما . . وما بينهما وما بعدها . . ولا
يحدثك عن النور الا من شاهده .. ولا يشاهده الا من سلك الطريق
اليه . . وإنه للشهادة . .

والشهادة بالعين لا يحتاج الانسان الى دليل بعدها للتصديق

أو الإقرار أو الاعتقاد . . فمن شاهد أصبح على درجة من الإيمان هى القمة التى ولا بعدها . ولا يخشى عليه من الانفلات منها . .

هذا المؤمن الذى وصلت درجة إيمانه إلى القمة وأصبح بها فى حصانة من أي زيغ أو زيف . . يسبغ عليه إيمانه هـذا من الرضا والتسليم والقناعة ما يجعله ناعما فى باله . مطمئنا فى نفسه . . سعيداً بإيمانه . لا يرى فى كل ما تأتى به الدنيا إلا وجهاً واحدا وأمرا كائنا هو إرادة الله .. فكهذا أراد الله .. وهكذا لابد أن تتم إرادته .. ومن شاهد . . لا يجد فى أى أذى يصاب به . . ما يعكر صفوه . . أو يكدر حياته . . فمهما كانت فهى أيام . . ولا بد له أن ينطلق إلى عالم النور . . الذى قد شاهد بعض مظاهر الطيف من أنواره . . وعلم أن خياله لا يتسع حتى لمجرد التفـكير فى قدر أنواره . .

ولا يقتصر فضل الشهادة على الانسان فى حياته ، إذ أثبتت العلوم الروحية وأبحاث ما فوق المادة أن الإنسان عندما ينتقل إلى حياته الأخرى فإنه ينتقل على حالته من المعرفة التى اكتسبها فى دنياه ولا يستفيد الانسان فى حياته إطلاقا إلا بالمعرفة . فهذا الذى حرص

على غذاء جسده وكان قصارى همه أن يكنز فيه من العضلات واللحم بعد انتقاله إلى حياته الثانية يبدأ الجسد بما فيه يتحلل ليعود إلى مادته الأولى التراب . . فكل ما أكله . . وما شبع منه . . عاد بما أنتجه . . إلى أرخص ما في الوجود .

وأما الروح فإن من أدواتها العقل والمعرفة .. ومن سبلها العين والمشاهدة . . فمن انفق حياته في علم ومعرفة فسينتقل وهو على درجتها ولا ينفع في الحياة الأخرى إلا المعرفة والعلم الذى ينجى الإنسان من الشر الوبيل . . المعرفه والعلم الذى يقوده إلى الإيمان بالله . . وكتبه . . ورسله . . واليوم الآخر . . فمن شهد آيات الشهادة في الدنيا فقد زود روحه بزادها ولن يستوى في الحياة الأخرى من انتقل وهو يعلم بمن انتقل وهو لا يعلم وصدق الله العظيم الذى يقول جل شأنه في كتابه العزيز :

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) .

فإن من يبدأ حياته الأخرى وهو يعلم . . سيجد الطريق ميسراً . . ولن يناله فزع أو نصب أو يرتج عليه الأمر . . فسيحيا في ظل شهادته

التى رأى آياتها . . وشاهد آثارها فى الدنيا حتى اليوم الموعود . . .

وما أدراك ماالیوم الموعود.. يوم يجتمع الشاهد .. والمشهود .. فيه ترتفع باقي الحجب . . ويغمر الانسان النور الكامل .. فيه تتعلق الأنظار بربها الكريم الغفار.. وتستقر الأبصار فى الوجوه الناضره... وتعيش وتحيا فى نعيم ليس بعده من نعيم .. إنها لربها ناظره ..وفى ذلك تقول الآيات الكريمة

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

هذا هو معنى لفظ أشهد . . أما باقى الشهادة فإن المتدبر لها والمتأمل فيها .. يجد أنها ليست كلمات توحيد بل أنها تحمل معانى أكبر ويجب على كل مسلم وهو يرددها أن يتفهمها ليعمل بها . .

لا اله الا الله .. أنها شهادة قاطعة بوحدانية الله سبحانه وتعالى وأنه لا شريك له ولا رب سواه ..

والمتأمل لألفاظها يجد أنها تقرر بأنه لا يوجد ند لله اطلاقا . . ولا مثيل له .. وقد يعتقد البعض أن معنى أن يتخذ الإنسان لله أندادا أن يعبد صنما أو يسجد لشجرة... أو يقدس نجما . . ولكن من الناس

الذين لا يكفرون بالله من يتخذون من دونه أنداداً وهم لا يشعرون . .
وما ذلك إلا لأنهم وهم يرددون شهادة التوحيد قد رددوها بألسنتهم . .
وبظاهر ألفاظها . . وفى هؤلاء يقول القرآن الكريم :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ) .

فمن أحب ولدا أو أبا . . زوجة أو أما . . ذهباً أو عرضاً . . قدر ما يحب الله فقد جعل لله نداً . فما بالك بمن يحب غير الله . . . أكثر مما يحب الله؟ وليس الأمر خافيا على الناس . . أو كما يعتقد البعض أنه مبالغ فيه . . فيا ترى من يحلف بغير الله . . بابنه أو أبيه . . أو بنفسه أو بكائن من كان . . ماذا يعتقد فى قرارة نفسه . . وإلى ماذا يشير هذا القسم؟ هل وضعه الانسان فى مكان الذى لا يجرى عليه ما يجرى على البشر ولذلك أقسم به . .؟

أم أنها من الأمور التى يرددها الإنسان وقد جهل معناها وغابت عنه خطورتها . . . إن القرآن الكريم ليقرر فى كل الآيات التى ورد

فيها القسم أن الحالف أو القسم إنما كان بالله سبحانه حتى ولو كان من المنافقين أو الكافرين .. مثل :

(فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) ، (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) ، (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ) ، (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) .

ولهذا فقد قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله فقد أشرك) .

ثم هذا الذي يسند المشيئة إلى عبد .. أو يقاسم فيها الله سبحانه

وتعالى .. ألم يجعل لله ندا ؟ ..

فهذا الذى يقول إن شئت كان هذا . . أو تم ذاك . . أو يقول إن شاء الله وشئت .. وصلى الله على سيدنا محمد عبد الله ورسوله الذى أنار الله له بصيرته وأرسله للعالمين من رحمته فما كان يترك ما قد يكون فيه شبهة إلا وجلاها وأوضحها حتى يكون الناس على بينة من أمرها .. جاءه يوما رجل فى أمر عرض له فقال له (يا رسول الله ما شاء الله وشئت) فانتفض الرسول حتى ظهر عليه الغضب وقال (اجعلتنى لله ندا عدلا ؟ .. قل ما شاء الله وحده) .

فهل من يحلف بعبد لله .. أو يسند المشيئة لغير الله .. يكون قد شهد حقا أن لا إله إلا الله ؟..

والله هو الرازق ما فى ذاك من شك ..والمتأمل لألفاظ الشهادة يجد أنها تحمل الحقيقة القاطعة والتى تشهد بهذا المعنى .. ونصها أنه لا رازق إلا الله .. فمن شهد من الآيات ما تجعله يرى رأى العين أنه لا رازق إلا الله حقا وصدقا فمهما كد وجد . . ومهما سعى وجاهد .. فإنه يطمئن تماما على أن ما أصابه من رزق فهو من الله

وحده .. فهو لذلك لا يطلب الرزق من غير الله . . ولا يعتقد بأن في يد عبد من العباد مهما أوتي هذا العبد وأيا كان أن يتدخل في رزقه زيادة .. أو نقصا .. فهل من اعتقد بأن ما أصابه إنما كان لتدخل تم في حاله أو من لقي عبدا من العباد واستشعر أن في يد العبد أن يغير من أمر رزقه شيئا أيكون قد آمن أن لا رازق إلا الله ؟ .. وبالتالي أيكون قد شهد أن لا إله إلا الله ؟ لقد حرص القرآن الكريم على أن يؤكد هذا المعنى في كثير من آياته الشريفة مثل :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) ، (إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) .

والله أكبر .. وكل ما اعتقده الإنسان .. فالله أكبر ..

والمتدبر للشهادة يجد أنها تؤكد هذه الحقيقة بل وتنفى عن غير

الله صفة الكبر .. فمهما صادف الإنسان فى حياته من أمور فالله أكبر ومهما ظن الإنسان فى قوى أو كبير فالله أكبر .. بل مهما اجتمعت عليه الناس فالله أكبر .. فمن شهد من الآيات ما تجعله يتأكد بأن الله أكبر .. ما خشى شيئاً .. ولا خاف أحداً .. وصدق الله العظيم الذى يقول عن هؤلاء :

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ).

وهكذا جميع صفات الله ... وهكذا جميع أسماء الله .. تحمل الشهادة فى معانيها التأكيد المطلق إن الانسان قد شهد أنه لا يمكن إطلاقاً أن يسند صفة من صفات الله أو إسما من أسمائه أو فعلا من أفعاله إلا لله وحده سبحانه وتعالى دون غيره .

فإذا وضعنا صفات الله أو أسماءه فى الشهادة وجدنا منطوق الشهادة يوضح ما هدف إليه الإسلام منها .

فالله سبحانه هو المعز فكأن من ضمن ما توحى به الشهادة بنصها معنى وشهادة أنه لا معز إلا الله . .

والله المذل فكذلك تحمل الشهادة بنصها نصا يقول أشهد أنه لا مذل إلا الله .

والله هو الخالق فمن يشهد أن لا إله إلا الله فكانه يشهد أنه لا خالق إلا الله . . .

والله هو العاطى فمن يشهد أن لا إله إلا الله فكانه يشهد أنه لا عاطى إلا الله . .

والله هو المدبر فمن يشهد أن لا إله إلا الله فكانه يشهد أنه لا مدبر الا الله . .

وهكذا فى باقي صفات الله جل شأنه سبحانه وتعالى . .

هذه هى بعض معانى شهادة أن لا اله الا الله أفلا يجب علينا أن نتدبرها ونتفكر فيها ؟

أما شهادة أن محمداً عبده ورسوله . .

فهي بنصها تطالبنا بأن نبحث وندرس ونناقش حتى نعتقد اعتقاد من رأى بعينه أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو عبد الله . . ورسوله . .

فلا جدال أو شك فى أنه ظهر فى القرن السادس الميلادى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .. الذى ولد كما يولد الناس..فوالده يعرفه التاريخ وأمه ضاربة فى العراقة فهو من بيتين كريمين معروفين .. فعلى سبيل القطع إذا فإن محمداً وجد فى هذه الآونة . . ويحدثنا التاريخ المكتوب .. والأثر الموجود .. على أنه كان يأكل كما يأكل الناس وكان يجوع ويشبع .. ويمرض ويشفى .. وكان فى كل حالاته إنساناً وعبداً من عباد الله .. تزوج كما يتزوج الرجال من أمثاله . . وأنجب الولد والبنت .. وماتت من ذريته الأولاد والبنات . . ففى كل ناحية من نواحيه فهو عبد من عباد الله .

ودعا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى خير ما يدعو إليه داع .. دعا إلى عبادة الله وحده ..

ودعا إلى ترك عبادة الأصنام .. التى أقامها الكفار من الأحجار ونحتوها بأيديهم ليعبدوها من دون الله ..

ودعا إلى توحيد الله .. فلا يمكن أن يتخذ الله جل شأنه له ولدا وليست له صاحبة .. بل ليس له مثال . . .

وحتى يؤكد للناس أن دعوته هذه ليست من صنع نفسه . . أو تلبية لنزعة فى داخله .. عرض عليهم الدليل الذى لا يبارى على أنه رسول من الله سبحانه وتعالى إلى العالمين . .

قومه سادوا العالم فصاحة وقلما . . وما كانت اجتماعاتهم . . ولا مساجلاتهم إلا أدبا وشعرا . .

وهم قد عرفوا محمدا معرفة الأخ لأخيه والأب لبنيه .. عرفوا عنه الصدق .. والصدق الكامل .. عهدوا فيه الأمانة .. والأمانة المطلقة. ولكنهم ما عرفوا عنه بلاغة أو فصاحة وما عهدوا عليه علمـــــا وما رأوا فى يده رقعة أو قلما .

فحتى الأربعين من عمره ... لم تتداول عنه أحاديث .. ولم تنقل عنه الحكم .. وفجأة يقدم لهم البرهان العملى والدليل المادى على أنه

رسول الله . . يقرأ عليهم القرآن الكريم فيتلو مائة وأربعة عشر سورة تزيد آياتها على ستة آلاف آية .. يجتمع أهل العرب .. وقادة الشعر والأدب .. ليأتوا بآية واحدة تماثل آية من الستة آلاف آية .. فيعجزوا . . ويعترفوا بان القرآن ليس بالشعر . . وليس بالنثر . . وليس بالسجع . . ولا بالكهانة . . فيأمنوا بانه رسول الله . . حقاً وصدقاً . .

وكلما جاء جيل ونظر فى القرآن الكريم استشعر فيه ما شعر به السابقون . . فهو ليس قول بشر . .

فيه القانون .. وفيه البيان .. وفيه البديع .. وفيه الحكمة . . فيه بيان أمر الإنسان . . فى الدنيا والآخرة . . فيه حقائق العلوم . . التى ما وصل إليها العلماء إلا بعد دراسات وإعداد . . وبعد سنين وأجيال .. وما زالت فيه من الأسرار التي تجعله دائما .. موضع الاعجاز ودليل الرسالة . .

فصال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى حياته ومماته . .

إنما تؤكد أنه عبد الله .. ودعوته إلى الدين وتاييده بالقرآن الكريم إنما يؤكد أنه رسول الله ..

وهكذا .. كما قالت آيات القران الكريم عنه ..

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَاهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) .

وأنه رسول كغيره من الرسل الذين أرسلوا لهداية البشر كما تقول الآية الكريمة :

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) .

... ولكنه خاتم النبيين بنص الآية الشريفة :

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) .

وهكذا نكون قد شهدنا أن لا إله إلا الله . وشهدنا أن محمدا عبده ورسوله .

وما أوجب أن نتدبر ونتأمل هذه الشهادة ونحن نكررها فى كل لحظة وحين ..

* * *

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) .

صدق الله العظيم

التفكر عبادة وسعادة...

حرص القرآن الكريم على دعوة المسلمين إلى التفكر ، وتردد هذه الدعوة فى معظم سوره الشريفة ، ولعل أوسع ميدان يمكن للفكر أن يرتاده هو التفكر فى خلق السماوات والأرض والذى تدعونا إليه مثل الآيات الكريمة :

(إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) .

فلو تفكر الانسان فى السماء وهو يراها فوقه كيف تحمل هذه الأعداد التى لانهاية لها من النجوم والكواكب وتفكر فى الأحجام الهائلة لهذه النجوم وتأمل وتدبر كيف تتسع لها السماء . . . وأنى رقعة إذا هذه السماء .. و إذا تفكر فى الشمس التى يراها وعرف أنها فى كل لحظة تشرق عليه ، إنما تكون غاربة عن قوم آخرين ، وأنها

دائما أبدا فى شروق ودائما أبدا فى غروب . . وأننا ونحن نستقبل الصباح يوجد أخوة لنا يسلمون أنفسهم لنوم الليل البهيم .. وإذا تفكر الانسان فى هذه الدقة التى تسمو على العقل والتفكير والتى من مظاهرها شروق الشمس وغروبها . . وطلوع القمر ومغيبه . . فى أوقات محددة وأزمنة مؤكدة . .

ولو تفكر الانسان فى الأرض وكيف بسطت ومهدت واستوى سطحها وحتى لاتميد بالناس برزت منها الجبال التى تحفظ توازنها . . ولو تفكر الانسان كيف يكون الحال لو لم تكن فى الأرض أنهارا جارية .. أو لو كانت الأرض سلسلة من جبال متلاصقة . . أو لو أن الأرض أخرجت من الثمر ما يكون فى لون تربتها . . وتعطى الخضر والفاكهة طعم طينتها . . ورائحة سبخها . . ترى كيف كانت تقوم الحياة ؟ . وأى نوع منها ؟ . لو تفكر الانسان فى خلق السماوات والأرض وفقط إلى هذا الحد .. المحدود .. ألا يهتف من قلبه ووجدانه وعقله وإحساسه ويردد تكملة الآية الشريفة :

(رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ) .

وطالبنا القرآن الكريم بالتفكر فى أنفسنا وذلك بالنص الشريف :

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) .

وما أوسع ميدان التفكر إذا كان الإنسان هو حقل الفكر فيه ترى هل خلق الإنسان نفسه ؟ .. أم من خلقه إذا ؟ . ترى هل فى خلقه متسع للمزيد من الإبداع والكمال ؟ ثم لو تفكر الإنسان فى أى عضو من أعضائه أو أى جهاز من أجهزته .. كيف يعمل ولماذا يعمل؟ وهل لصاحبه عليه من سيطرة ؟.. بل لو تفكر لوجد أن كل ماوصل إليه من علم إنما هو لتعليل مشاهدة .. قد تكون صحيحة وقد لاتكون وقد تكون صحيحة إلى حين . . ثم ينقلب الوضع إلى نظرية أخرى لا تلبث هى الأخرى أكثر من برهة . . بل لو تفكر الإنسان فيما لم يعرفه بعد عن نفسه . . لوجد عجبا . . وأى عجب . . فمثلا لم يعرف الإنسان حتى الآن . . لماذا يضحك ؟ فقد وضعت عدة نظريات كلها متناقضة ومتغايرة ومختلفة عن الضحك وما زال السؤال قائما بلا إجابة لماذا نضحك؟ .. لقد تناول العلم

الضحك من الناحية الفسيولوجيه فإذا بالضحك عملية تنتج عن شهيق عميق يتبعه تقلصات تشنجية قصيرة متقطعة للصدر والحجاب الحاجز مع فتح الفم وشد جانبيه إلى الوراء وأعلى ورفع الشفة العليا لتظهر الأسنان ثم يرتعش الفك الأسفل ويتحرك الرأس وتخرج الأصوات المميزة للضحك .. والتى يتميز بها الإنسان على الحيوان ..

ولكن لماذا نضحك ؟ لم يعرف العلم بعد !! ..

ولم يصل العلم بعد إلى معرفة حقيقة النوم .. كيف ننام .. ولماذا ننام ..؟ وماذا يحدث للانسان به ..؟ ياترى لو تفكر الإنسان فى ذلك . وتفكر فى عاطفته .. لماذا يحب هذا .. ولماذا ينفر من ذلك .. ولماذا ينجذب إلى الأنثى .. بطريق يغاير إنجذابه إلى صديقه . . ولو تفكر فى كل ما فى الإنسان .. بل لو تفكر فيما ينفقه كل إنسان على نفسه منذ أن يولد حتى يموت . وكم انفق الناس إذا ؟ .

وإلى ما غير ذلك .. ترى ألا يقول الإنسان حقاً وصدقا سبحانك .. يا رب ..

وحتى تتضح أهمية الدعوة إلى التفكر يقرر القرآن الكريم أن

بعض القصص إنما وردت فيه حثا للناس على التفكر وذلك بالنص الكريم :

(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تحمِل عَلَيهِ يَلهَث أو تتركه يَلهَث ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا فاقصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

وأن الأمثال التى جاءت به إنما ضربت للناس لعلهم يتفكرون وذلك بنص مثل الآية الكريمة :

(لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

بل إن القرآن الكريم نفسه ميدان فكر يجب على الناس أن يتفكروا فيه وذلك استجابة للاية الشريفة :

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهم يَتَفَكَّرُونَ) .

وليس أدل على شرف التفكير وخطورته وحكمته وأهمية الدعوة إليه من أن القرآن الكريم يقرر أن الذين يستجيبون لدعوة الله هم القوم الذين يتفكرون إذ يهديهم تفكرهم فى الآيات التى تنطق بشواهد وجود الله فإذا بهم يؤمنون وذلك بنص مثل الآية الكريمة :

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

ولقد حرص القرآن الكريم على أن يرشد الناس إلى ميادين التفكر فنجد أن آياته الشريفة قد أوردت كل ما يمكن أن يكون موضع العبرة والفكرة بل أن القرآن الكريم لم يترك ميدانا للتفكر إلا دعا إليه وأوصى به .

ففى ميدان الأرض وأجوائها وانتاجها تقول الآية الكريمة :

(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

ويتفرع من كل لفظ من ألفاظ الآية ميادين وميادين للفكر والتفكر .. والبحث والتأمل ..

وفى أحوال الإنسان ويقظته ومنامه .. وموته وحياته تقول الآية الشريفة :

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

وفى المراحل المختلفة التى تسير عليها الحياة .. من قوة إلى ضعف شأنها شأن النبات والإنسان والأمم والبلدان بل الدنيا بأجمعها ماأجدر أن يتفكر الإنسان فى أحوالها وفى ذلك تقول الآية الشريفة :

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا

أتاهَا أَمْرُنَا لَيلاً أوْ نَهَاراً فجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كأن لَّم تَغنَ بالأمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

وأما الآية الشريفة .

(وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ جَمِعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) .

فإنها توجه الإنسان إلى التفكر فى القوى والأحياء أيا كانت التى سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان . . وكم فى هـذا الميدان من أعاجيب . . يجب على الإنسان أن يتأملها ويتدبرها ويتفكر فيها . .

فكم مرة مثلا رأى الإنسان منا دودة الأرض وهى تدب فيها أو تسعي على وجهها . . ولم يحاول أن يسأل نفسه . . ترى أى فائدة يرجوها الإنسان من هذه الدودة الحقيرة التافهة ذات المنظر غير الجميل؟ ترى هل خلقت هكذا بلا سبب؟ . .

أن العلماء يقررون بعد دراسات طويلة ولأعوام عديدة حقيقة

غريبة .. هى أن دودة الأرض هذه أنفع الحيوانات كلها على وجه الإطلاق . . وأنها أكثر نفعاً للإنسان والإنسانية من البقرة مثلا . . أو الجمل .. فقد عرف أن هذه الدودة هى العامل الإساسى فى تهوية التربة فهى حين تحفر الأرض إنما تحدث فتحات تساعد جذور النبات على اختراق الأرض وتعمل على تهوية التربة عن طريق اندفاع الهواء والماء فى هذه الفتحات ..وأن هذه الدودة تقوم بطحن التربة إذ يدخل الطين فى حو يصلاتها و بعد طحنه تعيده تراباً خفيفاً هشاً صالحاً للزراعة.. كما أنها تجذب أوراق الشجر ومثيله لتدفنه فى الأرض حتى يتحلل ويصبح سماداً طيباً للأرض . ويقول العالم الكبير السير جون أرثر تومسون (أن عدد ديدان الأرض فى الفدان الواحد من الأرض الصالحة للزراعة فى بريطانيا هو خمسون ألف دودة وأن القناة المضمية لهذه الديدان تمر من خلالها عشرة أطنان من التربة سنويا فى الفدان الواحد وأنها تغطى سطح التربة بفضلاتها بمعدل ثلاث بوصات فى كل خمسة عشر عاماً ..أنها بحق أعظم صانع للتربة فى العالم وأنها لأكثر حيوانات العالم أجمع فائدة من الناحية العملية) .

إن الحديث عن دودة الأرض لا ينتهى إذا ما أراد الإنسان أن

يستعرض ماتقدمه للبشرية من جهود تمس حياتهم ..فقد قرر العلماء أن دودة الأرض هى محراث الأرض قبل أن تعرف المحاريث وأن تأثيرها على التربة الزراعية أيا كانت هذه التربة وأينما وجدت يفوق إلى حد كبير تأثيرالحيوانات الأخرى كلها مجتمعة ..فهى علاوة على أنها تعمل على قلب قشرة التربة السطحية بطناً لظهر وتفكك ما يتماسك منها وما ينتج عن ذلك من تهوية وتحسين وسائل الرى والصرف وتهيئة المجال الصالح الميسر لنمو جذور النباتات وانتشارها أفقياً ورأسياً وبالتالى جودة نموها فإن هذه الدودة تعمل على تركيز المواد الغذائية فى الأرض وتوفير العناصر اللازمة للنبات بما تحلله من أنسجة أو ورقات لبعض الحيوانات الأخرى كما أن للدودة غدداً كلسية تفرز فى قناتها المضمية الكالسيوم على المواد الغذائية فتخرج هذه المادة مع التراب الهش الذى تخرجه الدودة .. ولذلك فإن ما يخرج من الدودة يكون أكثر صلاحية لغذاء النبات ، وأوفر عناصراً من التربة نفسها مهما أجريت فى التربة العمليات الصناعية المختلفة من تهوية وحرث وتسميد .

وبديهى أن كل إنسان منا قد رأى هذه الدودة أكثر من مرة وبديهى أن النظرة العابرة التى نلقيها عليها وهى منهمكة فى عملها

أو ساعية إليه ..غير كافية إطلاقاً لنقف على الجزء اليسير من الحكم البالغة التى تصرخ بها مثل هذه الدودة من حولنا .. فما أوجبنا أن نتأمل ونتدبر ونتفكر فى ملايين الأحياء الدقيقة والرقيقة والكبيرة والعظيمة التى تملأ الوجود من حولنا .. ومهما كان شكل هذه الحيوانات ومهما قل شأنها . . أو صغر حجمها . فإنها لموضع العبرة . . وأى عبرة . . وميدان للدرس . . وأى درس . .

فمثلا من منا لم ينقبض من منظر العنكبوت . . ومن منا لم يشمئز عندما رأى نسيجه بالقرب منه ؟ ولعل البعض منا يقول ترى ألم يكن أفضل لو لم توجد هذه العناكب ؟ . . ويرد العلم على هذه الأمنية بلسان أحد كبار علماء الحيوان فيقول (لو لم توجد العناكب على الأرض لاختل الميزان واهلكت الحشرات كوكبنا فالعناكب تأكل وحدها فى عام واحد من الحشرات ما يقدر وزنه بوزن ثلاثة ملايين رجل) .. وميدان التأمل والتدبر والتفكر فى العنكبوت لا يقتصر على أهمية العنكبوت بالنسبة لحياتنا . . إذ أنه يخلص البشرية من أخطر أعدائها إلا وهى الحشرات المختلفه بحيث أصبح وجود نسيج للعنكبوت إنما يعنى علامة أكيدة ودليلا قوياً على وجود الحشرات . إذ بمجرد محاربة

العنكبوت للحشرات وإبادته لها فانه يجمع شباكه ويرحل إلى مكان آخر يزاول فيه عمله النافع للإنسان وللحياة عموماً .. بل أن من التفكر فى العنكبوت أن تراقبه وهو يعمل . . وكذلك دراسة بيته الذى يقيمه . . من خيط العنكبوت .

يقرر العلماء الذين درسوا الأحياء أن خيط العنكبوت هو أكثر المواد التى يصنعها أى مخلوق فى تعدد منافعها على وجه الإطلاق وأنه أمتن من الصلب الذى يسحب حتى يصير قطره جزء من ألف جزء من البوصة هو قطر حرير العنكبوت .

ومما يقوله دونالد بيتى من علماء الطبيعة أن العناكب تنسج خيطها لتقضى به كل حاجة لها فهى تستعمله شركا لتصيد به الأعداء وتستعمله كمائدة لطعامها .. ومخزناً للزائد من غذائها وفراشاً لتنام عليه . وجهازاً لإنذارها من أى هجوم يشن عليها .. وطريقاً للفرار إذا ما غلبت على أمرها . . وقيداً تقيد به خصمها .. كما أنه سبيل الانتقال من مكان إلى آخر .. وتفرز العناكب خيطها من غدد كدودة القز . مع الفارق والفارق الكبير بين خيط العنكبوت وحرير القز . . فخيط العنكبوت

بفضل حرير القز بمراحل عديدة إذ أنه أدق وأنعم وأمتن ولذلك يطلق عليه أدق الجوامد على وجه الإطلاق .

وإذا كان نسيج العنكبوت يعتبر وسيلة الصيد إذ تقع فيه أى حشرة تقربه .. فلماذا لاتقع العناكب نفسها فى شراك نسيجها ؟ .. لاسيما وأن هذا النسيج مغطى بإفراز لزج هو الذى يحبس الحشرة عن الفرار إذا ما اقتربت منه ؟ .. لقد وصل العلم إلى أن العنكبوت يوجد على جسمه وأرجله شعيرات تفرز مادة زيتية ودائماً يمسح العنكبوت كل جسمه بهذا الزيت فهو يعتبره حمامه اليومى بل ووسيلة تزينه التى دائماً يحرص عليها .. هذا الزيت هو الذى يمنعه من أن يلتصق فى شراكه ويجعله سهل الحركة ، سريعها على خيوط نسيجه .. ومهما أصاب العنكبوت الماء .. ومهما هطل عليه المطر .. فإنه لا يصل إلى جسمه إذ أن الزيت يعتبر وكأنه طبقة واقية من الماء ... ولهذا فإن من المستحيل أن تفقد العناكب حركتها فى شراكها إطلاقاً .

وتبنى العناكب بخيطها هذا بيوتها .. وبيت العنكبوت يجب أن يكون موضع التفكر والتأمل والتدبر فهو يعتبر معجزة وأى معجزة !!

وأغلب الظن أن بيت العنكبوت يعتبر أكمل عمل فنى على وجه الأرض ..!! فهو يبنى على طريقة العجلة . . تتفرع دعائمها من المركز ثم تعزز بخطوط تصل أطرافها كمحيط الدائرة . . ويتم بناء بيتها فى أربع ساعات . . والمتأمل لهذا البيت يجد أنه أشد تعقيداً من أى بناء يبنيه كائن حى . . فعش الطير يبدو عملا غير متقن وأما خلية النحل التى يقول عنها العلماء أنها أروع عمل هندسى فتبدو بجانب بيت العنكبوت عملا هيناً بدائياً .. !!

فأول ماتبنى العناكب من بيتها تغزل ضلعين من هيكل مثلث .. أحدهما عمودياً والآخر يشترك معه فى الرأس وينحدر بزاوية ثم تبدأ فى صنع الضلع الثالث للمثلث فتتعلق بغزلها من أسفله حتى تصل به طرفى الضلعين ، فتقف وتشد الخيط حتى يصير كالوتر المشدود ثم تثنيه بقليل من مادة حمضية تفرزها غددها ثم تأخذ بعد ذلك فى مد خطوط مستقيمة من رأس المثلث حتى مركز الدائرة ولا تصنع الدعائم واحدة تلو أخرى حتى لا يشتد الضغط على جانب واحد من العجلة ، وإنما تبنى ناحية من العجلة أولا ثم الناحية التى تقابلها ثم النواحى التى إلى يمين المركز

فالتى إلى يساره ، والزوايا بين الدعائم تعتبر معجزة أخرى فهى متساوية تساو أدق مما يكون قد سطر بأحدث الآلات وأدق الأجهزة .

وفى كل يوم تضيف الأبحاث العلمية إلى فوائد حرير العنكبوت شيئاً جديدا .. إذ تتخذه العناكب خطوطا كخطوط التليفون فيقف الذكر فى طرف الشبكة ويجذبها ثم نجد الأنثي وهى تهز الخيط بطريقة معينة و بعد اتصالات قد ينصرف الذكر إلى عودة . . أو إلى غير عودة .. أو قد تخرج الأنثى لاستقباله ..فقد تفاهما على الزواج ..

وفى بعض الأحيان تتصل الإناث بعضها ببعض بهذه الأسلاك وعرف أن طريقة معينة لهز الشبكة تخرج الزائرة لتعود ببعض الغذاء .. وبطريقة أخرى .. تأخذ معها بعض ما يكون لدى المضيفة من غذاء ..

وتستعمل العناكب خيطها فى الارتحال فتغزل خيطاً مستقيما وتطلقه سابحا في الهواء ويبلغ من متانته أن يحمل ثقلها ثم تنطلق ساعية عليه ؛ وحتى فى نسج خيط ارتحالها . . نجد عجباً وأى عجب إذ تنسج فى معظم الأحيان خيط إرتحالها إلى أعلى أى بعكس غريزة الاتجاه إلى الأرض وتنسجها ورؤوسها فى إتجاه الريح وعندما يطول

الخيط و يزداد ضغط الرياح عليه يقفز العنكبوت مغيرا إتجاهه و ينقلب على رأسه تاركا شبكتة الحريرية يطيح بها الهواء كما شاء وهو متعلق بها .. ولا يبالى .. فهو على يقين أن أشد الزوابع لن تؤثر فى شبكته إطلاقا . . وعندما تسكن الرياح فإن العنكبوت تعاود الغزل إلى أن تصل به إلى مكانها الذى اختارته لنفسها . . .

ما أكثر العـــبر التى يمكن للانسان أن يستوعبها لو تأمل العنكبوت ودرس حياتها . وتفـكر فى أمرها . .

ثم نجد بعدذلك أن أرق خيط يمكن أن يعرف هو خيط العنكبوت .. وأن بيت العنكبوت هو البيت الوحيد من بيوت الأحياء كلها المكشوف كشفا تاما . . والظاهر عيانا لـكل مشاهد . . والذى ينقله الهواء بسهولة ويسر حيث يهب . . وأنه البيت الوحيد الذى يتنقل دائما فلا قرار له .. ولا استقرار .. فهو بحق أضعف بيت لـكائن حى . . وأوهن ما بنت الأحياء . . وصدق الله العظيم إذ يقول عنه :

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَـــذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَـذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْـكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

ومن الأمور المحيرة العجيبه أن الإنسان لا يحاول أن يتفكر ويتأمل فى الشيء الأساسى لحياته والذى لا بد له منه ليعيش . . إذ لو غاب عنه لحظات لـكان الموت هو المصير الأكيد . . إلا وهو الهواء . . الهواء الذى نستنشقه فيحول الدم الفاسد فى الجسم إلى دم نقى . . . ويدخل فى عمليات تـكوين الغـذاء . . . وهو وسيلة نقل الأصوات إلى آذاننا . . فلو لا وجوده . . ما سمع إنسان صوتاً . . إطلاقا والهواء يعتبر الدرع الواقى للانسان من أصناف وأنواع من الاشعاعات المدمرة . . . لو اختل تركيبه أو تغير حاله . . لفنيت الحياة واحترقت الأحياء . .

والهواء وهذا شأنه . . لا بد أن يكون موضع تفـكر الإنسان . . فترى أى كمية من الهواء تحيط بالأرض . . ترى هل هى آلاف الأطنان أم ملايينه ؟ . . إن الرقم التقريبى الذى ارتضاه العلماء لـكميات الهواء التى تخص الأرض هو خمسة ملايين بليون طن أى رقم مكون من خمسة وعلى يمينها خمسة عشر صفرا . . .

هذا الهواء المنعش العليل . . الذى نبحث عنه رطبا بارداً فى الصيف . والذي نترقبه ونرجوه جافا دافئا فى الشتاء ونمد فى سبيل ذلك إلى

كافة الوسائل الصناعية والعلمية . . قد يكون السبب فى التدمير والتخريب . . عندما يشتد ساعده . . وتتحول النسمات الرقيقة إلى أعاصير .. مهلكة .. والحقائق التى تروى عن الأعاصير تجعلها تبدو وكأنها خرافات أو كقصص الجان . . فإذا حمل الإعصار عوداً من القمح الضعيف استطاع أن يجعله ينفذ من لوح خشبي سميك . . وإذا حمل فرعاً من شجرة استطاع أن يثقب به كتلة من الحديد . . نعم فإن الإعصار يحمل معه طاقة مدمرة تفوق عشرات الألوف من القنابل الذرية مجتمعة . . وما مر الإعصار على مدينة إلا وتركها وكأنها لم تكن من قبل .. هشيما تذروها الرياح . .

ترى كيف يتغير حال هذا الهواء .. وما حقيقته . . هذا الذى لا نعرف له لونا .. ولا طعما .. ولا رائحة .. ولا نمسكه .. ولا نقدر عليه .. ولكن نحس به .. ونتأثر منه . ؟

وميدان النبات .. هذا العالم الذى لا تنتهى أعاجيبه .. والكواكب فوق الأرض فى السماء .. وعالم ما تحت الأرض فى قاع المحيط أو على سطح الماء ..

وهكذا .. أينما كان الإنسان . . وعلى أي شيء وقع نظره يجب أن يتفكر ويتأمل ..

وسيقوده هذا التفكر إلى معرفة الحقيقة .. الحقيقة التى ينادى بها الوجود .. ويشهد عليها قيامه .. وهل يتفكر إلا أولوا الألباب ؟ أو ليس هؤلاء هم الذين وعدهم الله بفضل كبير ففيهم تقول الآيات الشريفة :

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) .

وكان المعتقد أن التفكر إنما هو طريق لسعادة الإنسان بعبادته لله بهذا التفكر الذى يقوده إليها .. ولكن الأبحاث العلمية والدراسات الطبية .. والتجارب السلوكية ..قد أثبتت أن التفكر يعتبر خير هدية يستطيع العلم الحديث أن يقدمها لإنسان العصر الحالى ومابعده ليجعله يعيش عيشة هانئة تتميز بالصحة النفسيةوالقوة البدنية .. وإن التفكر هو السبيل لسكينة النفس .. وطمأنينة القلب . بل وشفاء الجسد .. ووقايته من أخطر الأمراض المدمرة .. لقد ثبت أن التفكر علاج أكيد يشفى توتر الأعصاب ويعين على

العيشة الهادئة المطمئنة .. فيقول الدكتور أوستن ريجيز «إن الإنسان يلجأ في قضاء أوقات فراغه إلى إحدى طريقتين أما العمل أو اللعب. وفي الحالتين يصيب الجسم إرهاق على إرهاقه وتعب على تعبه .. ومن النادر أن يخطر ببال أي إنسان أن هناك فائدة أخرى محققة لراحته هي أن يقف في حياته اليومية وقفه تامة .. يتفكر .. وما ذلك إلا بأن يدع عقله يسبح ويطوف ويتجرد تجردا تاماً عما يحيط به . وينشر أجنحته متأملا متفكرا ..

لقد ثبت لي كطبيب أن التفكر ينعش ويريح النفس ويدخر النشاط للمستقبل بل ويعين المرء على الاحتفاظ باتزانه ومرونته تجاه مطالب الحياة . ولايحتاج التفكير إلى أداة خاصة أو وسيلة معينة وكل ما في الأمر أن نطلق العنان للعقل وندعه يجوب آمناً فيما وراء المقاصد والأغراض وما يسمى بالأشياء العملية في حاضرنا . في هذه الحالة نخلق في نفوسنا نفس الحالة الذهنية التي تغشى المرء حين يستمع إلى موسيقى جميلة أو يتأمل غروب الشمس أو ينظر إلى الجبال الشاهقة وتكون حالة غبطة خالية من توقع شيء ما وتأمل بدون تدبير أو سعي . . قد يكون من المفيد أن تتأمل في أقرب شيء يقع عليه نظرك .. وتفكر فيه . . كيف وجد . . ولماذا ؟ . . ترى . . كم مرة في الحياة ستتاح

لى مثل هذه القرصة .. قد تكون وردة جميلة .. أو حشرة قبيحة . . أو جبل عال..أو جدول سار» .

وينصح العالم الكبير وليم جيمز أستاذ الفلسفة تلاميذه أن يكثروا من الاختلاف إلى مكان العبادة ويقول أن اعتياد الذهاب إلى هذه الأماكن يوحى بالتفكير والتأمل . . الأمر الذى من شأنه أن يعين على صحة النفس واستقامة الفكر . . وقال أن ذلك يشبه . . أن يجد المرء نفسه فى زحام خانق فيعمد إلى عتبة باب قريب ويقف عليها وينظر من فوق رؤوس الناس .. فيعرف الطريق الذى يرغبه وحينئذ يستطيع أن ينزل مرة أخرى إلى الزحام ليمضى فى الاتجاه الصحيح . . بعد أن عرف الطريق إليه ..

والنصيحة التى يقدمها كتاب جيلورد هوزر ليعيش الإنسان فى أسعد حالاته أن يعتنى بجسمه فيغذيه ويحميه من الأمراض ويعالج كل ما يصيبه من علل ويطمئن إلى أنه يتحسن دائماً.. وأن يهتم بتقدم عقله وتحسن مستواه الفكرى.واستمتاع العقل بما يسعد صاحبه هو من أهم مباهج الحياة .. إن للعين فوائد أخرى غير الرؤية فيجب استعمالها فيما خلقت من أجله كله . ومن ذلك تسجيل المناظر والصور والرسوم التى تعجب

الإنسان .. وما دامت هذه الرسوم والمناظر تحفظ فى العقل ففى إمكان الإنسان أن يرجع إليها كلما أراد .. و بذلك تغنيه عن زيارة مكانها مرة ثانية .. وما ذلك إلا بالتفكير فيها بعد استرجاع صورتها . . تعلم أن تسجل مايروقك من المناظر .. وأن تكون صوراً ذهنية رائعة .ولن تحتاج فى ذلك إلى أجهزة ثمينة أو حجرة مظلمة أو أحماض وأملاح أو إلى جهاز تكبير أو تقريب . . بل ركز عنايتك بالصورة التى تراها وامكث دقائق لتتأكد أنك جمعت فى إطار انتباهك كل ما تريده وعليك بتحسين التفاصيل ثم أغمض عينيك فاذا ظهرت أشياء لم تتذكرها فقد طال تعريض العدسة أكثر مما يجب .. إذ يجب أن تهتم بالمنظر العام دون التفاصيل . . حتى تترك للعقل فرصة للتفكير فيها . . حاول أن تجمع صورة خضرة الشجر وزرقة البحر والسماء والحقول المقطوفة الثمار وألوان الملابس الزاهية البهيجة ثم احتفظ بها إلى الوقت الذى تريده فتخرجها وتتفكر فيهافيذهب عنك الحزن والحيرة والحسرة ..

و يقول جيمز تراسلو آدمز .قد تكون فكرة حسنة و إن كانت تبدو خيالية أن نخرس صوت كل تليفون ونوقف كل سيارة ونمنع كل حركة مدة ساعة كل يوم لنتيح للنـــــاس فرصة للتفكر فى أسرار ما يحيط بنا بضع دقائق .. ولماذا يحيا الناس ؟ وماذا يبغون .. حقاً فى

حياتهم ؟ .. وما مقدار العظمة التى تحيط بهم وعظمة موجدها .. ؟

وفى كتاب لديل كارنيجى يقول أنه أمضى اثنى عشر عاماً من حياته مع الماشية ، فلم ير بقرة تبتئس لأن المرعى يحترق ، أو لأنه جف لقلة الأمطار ، أو لأن صديقها الثور راح يغازل بقرة أخرى ، إن الحيوان يواجه الظلام والعواصف والجوع هادئاً ساكناً ولهذا لا يصاب بالإنهيار العصبى أو قرحة المعدة ولا يصاب بالجنون قط . أنه لا ينصح بأن نطأطىء هاماتنا لكل ما يواجهنا من مصائب .. كلا .. فإن هذا إغراق فى التشاؤم . فمتى كانت هناك سانحة لننقذ أنفسنا مما حل بها فلننتهزها ولنكافح ولنجاهد وإن النتيجة التى تواجهنا إنما هى الأمر المحتوم الذى لا مناص منه وليس منه بد .. ففى هذه الحالة .. فلنتفكر فى أن ما من بقرة تبتئس لأن المرعى احترق أو جف لقلة الأمطار .. أو لأن صديقها الثور راح يغازل بقرة أخرى ..

والتفكر مدعاة لشفاء النفس من أحزانها وحافز للمرء على الصبر فيقول إخصائى النفس جوزيف كنيدى لقد سمعت أحد المدلكين المختصين يقول لرجل من رجال الأعمال المصابين بالتوتر من جراء مصاب وقع وخسارة منى بها . إنك تشغل بالك بأشياء تسبب لك

أمراضاً مدمرة .. تفكر فيما حولك .. أنظر الى طيور السماء وزنابق الحقل . . وتفكر فيها . . أنها ترزق دون عناء منها ، ودون أن تشغل بالها .. أنها تطير وتحوم .. ولا تعتمد فى ذلك إلا على من خلقها .. ولذلك فهى تجد كل ما هى فى حاجة إليه .. وأنظر إلى السنجاب الذى يختزن البندق فى الخريف ليجده فى الشتاء إنه لا يستمع إلى إرشادات عقل واع أو باطن .. وإنما هى قدرة رتبت له ما يريد . والطيور التى تبنى بيوتها بهندسة تامة .. أنها لم تتعلمها فى كلية ولم ترسم لها تخطيط .. وجدير بمن يتفكر فى ذلك أن ييأس وأن يذهب عنه روعه ..

وفى كل يوم يضاف جديد إلى ما يحققه التفكر من سعادة للانسان .. روحية وصحة بدنية .. ومهما أوصى العلم وأيا كانت ميادين التفكر التى ينصح العلماء بارتيادها .. فإن القرآن الكريم قد سبق بهذه الدعوة والفارق بين ما دعا إليه وما دعت إليه العلوم .. هو نفس الفارق بين المصدرين .. مصدر القرآن الكريم .. ومصدر الدعوة العملية .. الفارق بين السماء .. والأرض ..

ترى كيف يكون حال الإنسان وهو يتفكر فى السماء وما فيها ويتأمل الأرض وما عليها ؟.. وهو يتفكر كيف يتعاقب الليل والنهار ؟..

وكيف تصحو السماء بعد غيمها •• وتشرق الشمس بعد مغيبها •؟ ويتفكر فيما قدره الله من رزق لكل حي خلقه •• وأن الإنسان والحيوان والطير والهوام •• كلها ترزق من الله •• وأن كل شدة إلى زوال •• وكل عسر إلى يسر لا محال •• وأن هذا الوجود إنما يقوم بإرادة الله •• ولا يتم فيه إلا ماشاء ••

فهل لو تفكر الإنسان فى ذلك •• ايشقيه ما تركه •• أو يطغيه ما ناله •• ؟ أو لا يقوده تفكيره هذا إلى الإيمان المطلق الكامل بالله وحده •• ؟ أو ليس التفكر بذلك سعادة وعبادة •• ؟

(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ) .

صدق الله العظيم

حب الله

يعيش الإنسان فى الدنيا فى قصة حب تبدأ منذ أن يولد ولا تنتهى إلا لحظة أن يموت . . فهو يحيا فى حالة من الحب تتغير مظاهره بتغير أيامه .. وتختلف مقوماته باختلاف زمانه .. ولكنه دائما يحب .. وأبدا يحب .. بل أن الحب هو أول ما يحسه الطفل بعد مولده . والحب هو آخر ما يغمض عليه الانسان عينه فى انتقاله . .

فالطفل يولد ويحب أمه وكأنه عاش فترة من الحب لها من قبل .. فإذا شعر ببعده عنها غضب وصاح وبكى .. وإذا اقتربت منه سعد وضحك وانتشى .. إنه يحبها ما فى ذلك من شك . . وقد يكون ذلك الحب بسبب حاجته إلى لبنها .. أو رغبته فى حنانها أو للدفء الذى يشعر به بين أحضانها . . ولكن كيف تعلم هذا الطفل الحب ولم يمض على ولادته إلا الساعات ؟ .. أنه لأمر عجيب حقا .. ولكنها الحقيقة التى لا جدال فيها ..

ويكبر الطفل فيحب أباه .. إذ يرى فيه الملجأ الذى يجد عنده ما يبغيه .. من ماديات أو معنويات .. ويستشعر عنده الأمان .. والسلام ..

ويجد الطفل بعد ذلك أقرانه .. أنهم على شاكلته .. ولذا فإنهم يتفاهمون .. ويتجاوبون .. ولذلك يتحابون

فإذا أصبح الطفل شابا .. وجد إنجذابا للجنس الآخر . وشعر بحب نحوه . . وإن اختلف عن باقي الحب الذى شعر به من قبل . . ويلبى الشاب نداء هذا الحب .. وتكون ثمرته أن ينجب طفلا .. يحبه . . حبا يملأ عليه قلبه ويستولى على كل وجدانه .

ويتقلب الرجل بعد ذلك فى ألوان مختلفة من الحب .. حب للمال .. وحب للشهرة .. وحب للمجد .. وحب للصحة .. وكلما تقدمت به السنون كلما تمسك بحب الدنيا .. وكلما فاض قلبه بحبها .. أنه يخشى أن يغادرها .. ويرفض أن يستسلم لبعدها . . فهو يحبها .. أيا كانت حالته .. ويحب كل ما فيها مهما كانت درجة شقاوته .. فالدعاء المفضل للانسان والذى يحب أن يسمعه .. ما كان خاصا بطول العمر .. واستمرار الحياة ..

وتتابع نفس هذه الألوان .. والصور .. فى الابن .. ويعيش نفس حياة أبيه .. فهو يكرر ما كان عليه إذ يحب أمه . ثم أباه ثم أقرانه .. إلى أن تتم قصة الحب التى تبدأ بالميلاد .. وتنتهى بالممات ..

ولكن أما كان الأجدر بالإنسان . . وهو قمة الفكر بين الأحياء . . أن يتأمل ويتدبر ويتفكر فى حاله فيصل إلى حقائق قاطعة قد تغير من موقفه هذا . . أو على الأقل تضيف إلى حبه هذا حبا آخر أسمى وأثبت وأعظم . . وأحق . .

فهذا الطفل يحب أمه لأنها ترضعه وتحبه . . فلو عرف الطفل أن هناك من كتب عليها الأمر بإرضاعها له . . وأودع فى قلبها حبها له . . وأنها لا دخل لها إطلاقا فيما تقوم به . . فلا اللبن من تركيبها ولا الرضاعة من عملها . ولا حبها له من إرادتها . . ألا يحب الطفل من كان السبب فى ذلك أكثر مما يحب أمه ؟ . بل أن أمه حملت به . . وليس لها من الأمر أى شىء . . ووضعته رغم المشقة فى ذلك . . دون أن يكون لها فى الأمر قليل أو كثير . . أو ليس الله سبحانه وتعالى هو القائل :

(وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) .

فهل إذا أحب الطفل أمه . . ألا يجب عليه أن يحب ربه ؟ . .

وهل يستوي حب الطفل لأمه .. وحبه لربه .. إلا إذا استوى الخالق والمخلوق .. العاطي والمعطى إليه . . ولا يستويان أبدا .

وإذا كان الأب فى نظر طفله هو مصدر خيره . . فمنه يأخذ ما يحتاج .. وعنده يجد ما يبغى . . ولا يكاد يطلب الطفل شيئاً إلا استجاب له والده .. ولا يحصل الأب على رزق إلا ويميز فيه إبنه عليه .. لذلك يحب الطفل أباه . ولو عرف الطفل أن ما يجرى عليه من رزق ليس لأبيه شأن أو دخل .. إنما هو رزق من الله قدره عليه وأجراه له . بل أن الله سبحانه وتعالى إنما رزق الأب برزق الابن فكل عطاء يناله الطفل إنما هو من الله وحده .. فهو الكريم الذى رزق الأب برزق الإبن .. وهو الرحيم الذى أودع فى قلب الأب ما يحرك به عواطفه نحو ابنه .. فيعطيه ولا يحرمه ويجود عليه ولا يمنعه ويسعد به ولا يبخل عليه ولو عرف الطفل ذلك لأحب الله قدر ما أعطى .. ولو تمعن لوجد أنه أعطاه كثيرا .. ورزق من يعوله بسببه رزقاً وفيرا .. فوجب أن يحبه حباً كبيرا . . أليس الله سبحانه وتعالى هو القائل .

(إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا . وَلاَ تَقْتلوا أَوْلاَدَكم خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكم) .

ولو تأمل الطفل وتدبر وتفكر لوجد أن أقرانه الذين حبهم . إنما يراهم بعينيه .. ويلهو معهم بقدميه.. ويمسك بهم بيديه .. ويخاطبهم بلسانه وشفتيه .. ويسمع حديثهم بأذنيه .. فترى لو لم يكن له عينين أو فقد الساقين .. أو حرم اليدين أو لم يخرج الكلام من الشفتين .. أو فقد سمع الأذنين . أكان يحب أقرانه .. ويتجاوب معهم؟ إذا لو كان يحب أقرانه مرة لوجب أن يحب من منحه هذه النعم ألف مرة... والعدد إنما على سبيل إظهار الكثرة .. وارتفاع الدرجة .. لا على سبيل الحصر .. فلا حصر لما يجب أن يكون عليه حب الله جل شأنه . أليس الله سبحانه وتعالى هو المنعم على عباده بكل نعمة هم فيها وصدق الله العظيم الذى يقول فى قرآنه الكريم :

(وَاللهُ أَخْرَجَكم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكم لاَ تَعلَمُونَ شَيْئًا

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»

(أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ).

وهذا الشاب الذى يجرى فى عروقه دماء الشباب حارة قوية وتفيض عواطفه جياشة ملتهبة ، ويشعر بميل لا يعرف كنهه ، ولا يدرك مصدره ، هذا الميل الذى يدفعه إلى أن يقاسمه حياته غيره ، ويقتسم رزقه مع زوجه . . أليس ذلك حتى تعمر الأرض وتستمر الحياة ؟ أنه الزواج الذى يتم بين الذكر والأنثى فى الإنسان . . كما يتم فى الطير والحيوان . . وهل غير الله الذى أراد فخلق للانسان زوجة وأودع بينهما هذه المودة والرحمة ؟ صدق الله العظيم الذى يقول :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

وهل يصل التفكر فى ذلك إلا إلى حب الله . . الذي شمل الإنسان بمثل هذه النعمة . . فجعل السعادة سبيل قيام الحياة ؟ ترى كم

يجب أن نحب الله ؟..

ولعل أكبر نعمة يتمناها الإنسان فى حياته .. أن يجد له ذرية تحمل اسمه من بعده .. و يعيش معها حياة ثانية .. فيرى فى طفله أيام طفولته .. وتعاوده معه أيام الصبا والشباب . . فترى من الذى وهب الإنسان القوة و يسر له القدرة . . ووفق له الزوجة . . وأصلح من حالها وحاله .. حتى ينجبا البنين والبنات . ؟ أليس هو الله الخالق القادر .. المصور الحكيم العليم ؟ ترى لو أهداك صديق هدية جميلة .. لا يمكن لغيره أن يهديها لك . . ولو كانت هذه الهدية لابد أن تظل تحت رعاية مهديها وإلا انعدمت .. أنحب الهدية .. وننسى مهديها ؟ أم نحب هاديها .. قدر ما أهدى .. وقدر ما يرعى ؟ والقياس مع الفارق ، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يرزقنا البنين والبنات ..

ولو شاء لحرم من يشاء .. ولو أراد . لاسترد .. ما أعطى .. ولا راد لما أراد .. ولا معطى لما منع .. ولا مانع لما أعطى وما شاء كان ... سبحانه وتعالى عز من قائل :

« لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن

يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ » .

وكل ما يناله الإنسان فى حياته بعد ذلك من مال . . أو مجد أو شهرة .. أليس ذلك تقدير العزيز العليم ؟.وأليس ذلك فضل الله .. يؤتيه من يشاء من عباده؟ . وهل للانسان دخل فيما هو فيه .. أو ماهو عليه ؟ إن كل نعمة يعيش فيها الإنسان إنما هى من الله . . أفلا يجب على الإنسان أن يذكر نعمة الله عليه استجابة لمثل الآية الشريفة « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِن خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ » .

وذكر النعمة إنما يكون بحب منعمها .. والاعتراف بفضله . .

وهكذا كلما استعرض الإنسان حاله فى الدنيا وتأمل وتدبر وتفكر منذ طفولته فى لحظتها الأولى إلى موته . . لوجد أن الله سبحانه هو

الذي خلق له كل ما يجعل حياته ميسرة وسهلة . . ولوجد فضل الله عليه عظيما فى نفسه .. وفيما حوله .. من نبات وحيوان وطير .. وماء وهواء .. وشمس وأفلاك .. وبحار وأرض وسماء ..

وهل يمكن للانسان أن يحصى نعم الله عليه ؟ .. وصدق الله العظيم الذى يقول :

« وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » . . .

فإذا ما جرى على الإنسان الرزق وجب عليه وهو يتمتع به أن يشكر الله بنص مثل الآية الشريفة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » .

وكذلك إذا ما وجد أن كل ما هو فى حاجة إليه إنما قد سخره الله له .. فتجرى الفلك فى البحار بأمر الله لخدمة الإنسان وأودع فيها الكنوز والرزق . وجب عليه أن يشكر الله كذلك بنص الآية الشريفة

« وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْه لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْه حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا من فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وهكذا فى كل ينالهِ الإنسان فى الدنيا يجب عليه أن يشكر الله .. وفى ذلك يأمرنا الله سبحانه وتعالى بنص شريف فى الآية الكريمة :

« فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُم وَاشْكُرُوا لِى وَلاَ تَكْفُرُونِ » .

وجعل الله شكره من الحكم البالغة بل هى الحكمة التى أتاها الله لنبيه لقمان إذ يقول عز من قائل :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ أَشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ » .

ولهذا يجب أن نحب الله .. قدر ما يجب علينا أن نشكره .. وكما يجب علينا أن نذكره .. أو ليس الحب أسمى حالات الذكر وأرفع صور الشكر ؟

ولو تأمل الإنسان حبه للدنيا وما فيها لوجد من أمره عجباً . . وفي حاله خطأ .. إذ كيف يحب عرضا إلى زوال أكيد أو يتعلق بمخلوق مهما عاش فهو إلى فناء يسير .. فالأم والأب والصاحب والزوجة والابن والحفيد فهل إلا إلي الموت جميعاً يسيرون ؟ . . وما اللحظة التي يعيشها الواحد منهم إلا لتقربهم إلى المصير المحتوم .. وتسرع بهم إلى اليوم المكتوب .. والصحة والمال والمجد والشهرة أليست هذه كلها إلى ضياع وزوال وعدم وأنها وإن كانت نما فإلى وقت معلوم وإلا فأين أموال قارون ؟ . . وأين أمجاد فرعون ؟ بل أين آدم وحواء ؟ وقد خلقت لهما الأرض وما فيها من ثمار وماء . . وأطاعتهما الملائكة طاعة عمياء .. فهل من حسن الإدراك أن يحب الإنسان من إلى زوال يصير ؟ أو يتغير حالا فينقلب الحب إلى عداء . . أو إلى أمر خطير . . أو يتعلق بعرض لابد تاركه وبكساء حتما خالعه ؟ . أم ترى يجب أن يحب الله فهو وحده الحي الذي لا يتغير .. وهو الباقي الذي لا يتبدل . . وهو الذي يرث الأرض بعد نهايتها .. والسماوات بعد

فنائها .. وكل ما فى الوجود إنما منه وإليه . . فمن أحبه إذا فقد فاز . . فسيبقى الحب شاهداً للمحب بعد أن يفنى جسده وتبلى أعضاءه . . وسيكون الشفيع يوم يقوم الناس لرب العالمين . . فهل يجزى الحبيب حبيبه يوم ترتفع الستر ... وتزول الحجب .. ويتم اللقاء ؟.. ولهذا يجب أن نحب الله ..

والمنطق السليم والعقل الرشيد يوحى بأن الإنسان غالباً ما يحب الغنى إذ يجد عنده ماقد يحتاج إليه من عون فى أزمته . . وكذلك يحب الإنسان الرجل القوى الذى يجده عند شدته .. كما يحب العاقل الذى إن استشاره فى كرب أشار بما يفرج كربته .. وإذا ما تأملنا وتدبرنا وجدنا أن الغنى إنما يعتز بغير ماله . . فما معه إنما وديعة . . تتداول بينه وبين غيره .. وإن كانت اليوم معه فغداً مع غيره . وإن طال عليه الأمد فسيتركها كما هى ويرحل بدونها .. فما المال إلا مال الله .. وهبه لعباده ليتداولوه بينهم .. وينفقوه فيما به أمرهم . . والقوى أياً كانت قوته فيوجد من هو أقوى منه . . بل ولا بد لقوته أن تضمر وتضمحل .. ثم يعانى من الضعف كما يعانيه من لم يشعر بقوة من قبل بل وأكثر . . فما القوة إلا منحة وهبها الله لعباده كل على حسب

ماشاء الله وأراد .. والعقل إنما هو موهبة الله للانسان ولا بد أن يصل الإنسان ولو عن طريق كبر السن إلى ضعف فى العقل.. إذ لا بد أن يعود إذا امتد به الأجل إلى طفولته لكى لا يعلم بعد علم شيئاً ..

وإذا تدبرنا وجدنا أن لله سبحانه وتعالى هذه الأرض وما عليها . ومن ملكه السماوات كلها وما فيها .. وكل ما نرى وما لا نرى وكل ما تصورنا بل كل ما هو فوق ما تخايلنا فهو ملكه سبحانه وتعالى وكل مارزق به الإنسان وغيره من المخلوقات منذ خلقت الكواكب والأجرام وإلى أن تنتهى الحياة فهو قليل مما فى خزائنه . . أليس الله هو الغنى .. وكل من خلقهم ورزقهم فهم الفقراء إليه .. ؟

أما العقل والتدبير فليس بعد نظام الكون عقل وتدبير . . أرض على بعد من الشمس محسوب لو تغير درجة لانتهت الحياة وفنى الأحياء ونجوم وكواكب عددها لا يقع تحت حصر .. وأحجامها أكبر مما يتخيله إنسان فى أى عصر . . وكلها تدور وتسبح بسرعة مذهلة . . ولكل نجم وكوكب مجاله وسرعته .. وفلكه وتوابعه .. أى حساب وتقدير وأى عقل وتدبير .. وكل مخلوق .. وكل ما خلق الله .. إنما هو حلقة

فى سلسلة الحياة .. بلا زيادة أو نقصان .. بل هذا الميكروب الذى لا يرى .. وهذه الحشرة القارصة لو تغيرت أى نسبة فيها لانتهت الحياة .وهذا الإنسان وتركيبه وما هو عليه وما هو فيه .. بل كل ما تأمل الإنسان أو تفكر أو تدبر فى أى شىء يجد الحقيقة .. القاطعة .. التى تشير إلى تدبير الله وعظمته .. وسمو حكمته .

أما القوة .. فسبحان من تقوم السماء بأمره .. وتدور الأرض بوحيه .. رفع الجبال وأجرى الأنهار وحرك الهواء .. وشق الحب وأخرج الثمار .. الوجود قبضته .. وكل ما فيه إنما إرادته .. لا تعصيه سماء ولا تخرج عن طاعته أرض ولا سحاب .. أليس الله هو القوى المتين ؟ ..

فهل بعد ذلك يجوز أن يحب الإنسان .. غير الله ؟ ..

هذه هى بعض الأسباب التى يجب من أجلها أن نحب الله .. ونحبه كثيراً ..

ولقد دعا الإسلام إلى حب الله فتقرر آيات القرآن الكريم أن

علامة الإيمان بالله هو أن يحب الإنسان الله سبحانه وتعالى وأن يكون حبه لله أشد ما يكون وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ » .

كما توعد القرآن الكريم من يحب شخصاً كوالده أو ولده أو أخوه أو زوجه أو يحب عرضا كعشيرة أو مال أو تجارة أو بلد أكثر مما يحب الله وذلك بنص الآية الكريمة :

« قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُم وَإِخْوَانُكُم وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » .

وهكذا تقرر الآية الكريمة أن من أحب غير الله أكثر مما يحب

الله فهو من الفاسقين . . وأما عقاب الفاسقين فقد أوضحه القرآن الكريم فى معظم السور وفى مثل الآيات الكريمة :

« وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ » ، « بَلاَغٌ فَهَل يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ » ، « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرْتَ لَهُم أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِر لَهُم لَن يَغْفِر اللهُ لَهُم إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » .

ودعا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حب الله فى أحاديث كثيرة بل قرر كذلك أن شرط الإيمان هو حب الله وأن يكون هذا الحب أكثر مما يحب الإنسان غير الله وذلك فى مثل حديثه الشريف (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين) وكذلك حديثه الشريف (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب

المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار) .

ومن علامات حب الإنسان لله طاعته الطاعة التامة وذلك بالتزام أوامره واجتناب نواهيه كما أنزلها على رسوله الذى أرسله سبحانه وتعالى رسولا للناس جميعاً .. فمنه تلقينا ما فرضه الله علينا وبين الحرام والحلال وأوضحه لنا ولذلك يقول القرآن الكريم :

« قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُمْ ذُنوبَكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَّحِيمٌ » .

كما أن من ضمن هذه العلامات . . أن يحب الإنسان المؤمنين ويؤاخيهم وأن يكون عزيزاً على الكافرين ولا يناصرهم وأن يجاهد فى سبيل الله الجهاد الأكمل ولا يخاف فى كل ذلك أى نقد أو لوم من إنسان .. وذلك بنص الآية الشريفة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » ..

وتتضمن هذه الآية ما يؤكد حب الله بعباده .. فالمؤمنون الذين يحبون الله إنما يحبهم الله سبحانه وتعالى ، والشواهد قاطعة وقوية والأدلة منطقية وعقلية على حب الله سبحانه وتعالى لعباده ، فهو جل وعلا لم يخلقهم إلا محبة منه لهم ، ولم يكتب عليهم رزقهم ورعايتهم إلا حباً منه لهم كذلك .. ولكن الإنسان الظلوم لنفسه .. والكفور بنعم الله عليه قد تجرفه الدنيا وتكالبه عليها وسعيه فيها إلى غير الطريق الذى يحفظ عليه حب الله .. فقد يعتدى على حق الله عنده .. أو على حق نفسه .. أو حق غيره .. وقد يكون هذا الاعتداء بالفعل أو القول أو حتى بالإشارة فيصبح بذلك من المعتدين وعند ذلك يفقد محبة الله له وذلك بنص الآية الشريفة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُم وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ » .

وقد يظلم الإنسان غيره أو حتى يظلم نفسه بأى صورة وعلى أى هيئة كان هذا الظلم فيكون بذلك من الظالمين والله جل شأنه لا يحب الظالمين وذلك بنص الآية الكريمة :

« وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » .

وقد يداخل الإنسان الغرور بما يصيبه من نعم زائلة فى دنياه فيختال ويتفاخر والله لا يحب من كان مختالا فخوراً وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا » .

وأى فساد يقوم به الإنسان على اى وجه كان هذا الفساد إنما

يكون من الأسباب التى تؤدى إلى أن يفقد الإنسان حب الله وذلك بنص الآية الشريفة .

« وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَى نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » . .

والخيانة التى يرتكبها الإنسان أيا كانت أسبابها من ضمن ما يفقد الإنسان محبة الله وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » .

و بديهى أن الكفر وهو يفقد الإنسان رحمة الله فهو أيضا يفقده محبة الله وذلك بنص مثل الآية الكريمة :

« لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ » .

واطمئنان الإنسان إلى الدنيا . . وفرحه بما قد يكون قد أودعه الله بين يديه إلى حين إنما يكون دليلا على أن الإنسان قد بعد عن الحقيقة التى تقرر أن الدنيا إلى زوال وأن رحمة الله هى خير ما يحرص عليه الإنسان فى دنياه .. ففرح الإنسان بالعرض الفانى إنما يبعده عن محبة الله وذلك بنص الآية الكريمة :

« إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ » .

والذى يعلم الحقيقة لا يستكبر على الناس . . فهو وهم جميعاً . . من تراب .. ولو تدبر الإنسان كيف سيكون حاله .. عاجلا أو آجلا إذ ما انتهت حياته . . وأصبح وأقرب المقربون إليه . . لا يستطيعون النظر إليه .. أو الاقتراب منه .. لو تدبر .. هل يتكبر على غيره ؟ ولذلك فمن استكبر فكأنما عميت بصيرته وحجب الجهل معرفته . وبذلك يفقد حب الله له .. وذلك بنص الآية الشريفة :

« لَا جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ » .

بل إن كل من أسرف على نفسه .. أو أسرف لها . . حتى ولو كان الإسراف فى المأكل و المشرب إنما يفقد حب الله له . . فلو أسرف كل إنسان لفسدت الأرض وفسد الناس ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى لا يحب المسرفين وذلك بنص الآية الشريفة :

« وَكُلُوا واشْرَبوا ولا تسرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » . .

والمتأمل لآيات القرآن الكريم التى ورد فيها حب الله لعباده ليجد أن رحمة الله سبحانه وتعالى قد اتسعت حتى أنه جعل محبته لعباده من الأمور التى يمكن للانسان أن ينالها دون مشقة أو عسر أو إرهاق .. وأن الله سبحانه وتعالى إنما خلق عباده محبة منه لهم ولذلك فلا بد لهم أن يحبوه .. وأن من فقد هذه المحبة فإنما هى نتيجة حتمية لمعصية الله سبحانه وتعالى وعدم طاعته . .

فالإنسان يعلم علم اليقين عن طريق العقل والمنطق وعن طريق الشواهد النظرية والأدلة الحسية أنه لم يخلق نفسه .. ولم يخلقه غيره.. وإنما خلقه الله وحده .. وأن ما أصابه من رزق .. وما يصيب غيره من خير .. إنما هو تقدير الله العليم الحكيم .. وأن الدواب والطير والحشرات والهوام .. إنما ترزق كما يرزق الإنسان دون تدبر منها مقصود ودون عمل متواصل استعملت فيه الذكاء والدهاء .. أوفكرت ودبرت .. أو سعت وتحركت . فالرزق من الله . . شأنه شأن كل ما يصيبه الانسان فى حياته .. فليس له من أمر عمره .. ولا من حجم رزقه .. ولا من خط حظه شيئاً .. وإنما هى الأخذ بالأسباب .. فيخرج الانسان . . فى صباحه . . كالطير . . تطير إذا ما أشرقت الشمس فيصيب ما كتبه الله له كما يصيبها .. من كل تصرفات الحياة وفى مختلف قطاعات الحياة . لذلك فإن الانسان فى كل أمر يعتزمه إنما يجب أن يتوكل على الله .. فعليه السعى .. وعلى الله قصد السبيل .. فالتوكل على الله إذا من الأمور الواقعية الحتمية التى لابد للانسان أن يتمسك بها فى كل عمل .. وفى كل حين .. وبالرغم من ذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد كتب محبته للمتوكلين .. أليس ذلك لأن الله سبحانه

وتعالى .. إنما يحب عباده .. ويرسم لهم أيسر الطرق وأسهلها لينالوا محبته وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

« فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » .

وإذا كان الإنسان يعلم تمام العلم أن الله سبحانه وتعالى دائما معه .. ومع غيره .. أينما كان وحيثما كانوا ، وأنه جل شأنه .. يسمع ويرى .. بل يعلم ما تخفى الصدور .. ويسمع ما توسوس به الأنفس وكل ما هم الإنسان بفعله فالله سبحانه يعلم النية التى دفعت صاحبها إلى ما فعل وإذا كان الإنسان يخشى أن يرتكب الخطأ إذا ما كان يبصره الإنسان .. أيا كان الإنسان .. كبيراً أو صغيرا .. حاكما أو محكوماً ، فهل لو آمن الانسان أنه دائما وأبدا تحت بصر الله سبحانه وتعالى الذى يحاسب الانسان على كل مافعل ، بل على كل ما نوى ، ألا يجب عليه أن يتقيه ؟ فلا يرتكب ما يجعله بعيدا عن رحمته .. فاقدا لمحبته ؟ وإن تقوى الله جل شأنه لمن الامور الواجبة على الانسان لو تبصر وبصر . . وتقوى الله ليست فقط تنجى

نسان من عذاب الآخرة وغضب الله .. بل إنها وسيلة ابتغاء محبة ، إذ يقول المولى سبحانه جل شأنه :

« بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ لْمُتَّقِينَ » ..

وليس كالإحسان خلق يضفى على صاحبه الفوز فى الدنيا .. والنعيم فى الآخرة .. وما أيسر الإحسان إذا ما صدق الإنسان .. والإحسان كما يكون بالفعل .. يكون بالقول .. وكما يكون بالعطاء يكون بالصفح .. وكما يكون بالكلمة يكون بالعفو .. فمن أحسن لوالديه .. أو لبنيه .. كان محسنا .. ومن أحسن فى عمله .. أو فى علاقته بغيره .. كان محسنا .. ومن كظم غيظه أو عفا عمن أساء إليه .. كان محسنا .. والإحسان .. من أهم دعائم قيام الحياة التى يترابط فيها الناس بالمحبة والأخوة والألفة .. وما أسهل أن يكون الإنسان محسنا بل ما أوجب ذلك .. وما أجمله .. فعلاوة على ما يحققه الإحسان للانسان .. فإنه به ينال محبة الله جل شأنه وذلك بنص الآيات الشريفة :

« الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » ، « لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .

والإنسان فى حياته يحب العدل فى مختلف شئونه إذا ما كان غيره حكما عليه .. فهل لو كان حاكما . ألا يجب عليه أن يكون عادلا ؟. والإنسان دائما وأبدا .. أيا كان عمله .. ومهما كان شأنه .. فهو في مركز الحاكم .. بين أولاده أو بين عماله .. أو بين نفسه وغيره .. ففى كل ما يؤدى الإنسان من عمل .. ألا يجب عليه أن يكون عادلا؟ إن الله سبحانه وتعالى قد أقام الحياة.. ورفع السماء .. وخلق الخلق .. وقسم الرزق .. وكل ذلك إنما على أساس متين من العدل .. فكل من لم يقم العدل فى معاملته لنفسه أو لغيره . . فكأنما يسير فى عكس ما قامت به الحياة .. بل كأنه يعارض . . ما قدره الله . . أما من

عدل أى سار فى الطريق الطبيعى .. فله أجر .. وأى أجر .. محبة الله سبحانه وتعالى وذلك بنص الآيات الكريمة :

« فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُم وَإِنْ تُعْرِضُ عَنْهُم فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » ، « وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »

وليس أفضل من أن يكون الإنسان طاهرا فى حياته . وإذا كان الإنسان لا يعلم متى يحين حينه .. ولا لحظة يدعى للرحيل من الدنيا .. فلا بد له أن يكون دائما على استعداد لتلبية هذا النداء .. وما أتعس الإنسان لو حان حينه وهو على ذنب مقيم ، أو فى

خطيئة يموت . . فلا بد له إذا من أن يداوم على أن يتطهر . . على قدر ما يستطيع .. طهارة داخلية بالاستغفار والتوبة والذكر والحمد والشكر .. وطهارة خارجية بالوضوء والصلاة والعبادة . . وإذا كان التطهر أمرا واجبا .. وفرضا حتما .. فإنه يكفي أن يكون من أسباب محبة الله حتى يداوم الإنسان عليه ويحتفظ به وذلك بنص الآية الشريفة :

« لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا واللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ » . .

وكل إنسان قد لقي في حياته من صعاب الأمور ما حاول قدر طاقته أن يخفف من أثرها أو يغير من وضعها ولكنه قد آمن بالتجربة الحقة أن كل أمر لابد أن تكتمل حلقاته وتستوفى أزمانه .. وكل إنسان قد عاش في حياته يقينا في حالتين .. الشدة والرخاء .. والعسر واليسر . . وأنه عن طريق المشاهدة الحقة في نفسه وجد أنه لا بد

من الصبر فى علاج كل أمر .. وإذا كان الصبر أمرا لا بد منه .. بل لا محيد عنه .. ألا يجب علينا أن نكون من الصابرين ؟ وفى كل حالات الصبر بشر الله سبحانه وتعالى الصابرين بمحبته جل شأنه . . وذلك فى الآية الشريفة :

« وَكَأَيِّن مِن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَه رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنوا لِمَا أَصَابَهم فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعفوا وَمَا استَكَانوا واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ » .

فما أسهل على الإنسان أن يتخذ الطريق الذى يوصله إلى محبة الله ...

أما الدليل على محبة الله فقد سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

(إذا أحب الله عبداً جعل له واعظا من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه) .

فقال السائل : زدنى من علامة محبة الله للعبد فقال

(ليس شىء أحب إلى الله من أداء الفرائض بمسارعة من القلب والجوارح والمحافظة عليها ثم بعد ذلك كثرة النوافل)

وأما ما يناله العبد من محبة الله فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى (ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى من أداء ما افترضه عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به إن دعانى أجبته وإن سألنى أعطيته) .

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل فيقول إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل وينادى فى أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض . وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم توضع له البغضاء فى الأرض) .

هذا هو ما يناله العبد من محبة الله له فى الدنيا .. يسمع بقوة من الله ويبصر بأمر الله .. كما لا يسمع غيره أو يبصره سواه .. يستجاب

له الدعاء .. ويجزل له العطاء .. يحبه أهل السماء .. ويكون مقبولا فى الأرض عند الأحياء ..

أما فى الآخرة فقد أعد الله سبحانه وتعالى لمن يحبهم ويحبونه أجراً عظيما ونعيماً وملكا مقيما .. وإن أول ما ينالوه يوم تقوم الساعة مغفرة الله لذنوبهم أيا كانت .. وهل بعد المغفرة .. إلا الجنة والفضل العظيم إذ تقول الآية الشريفة :

« قُل إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبكُم اللَّهُ وَيَغْفِر لَكُم ذُنُوبَكُم واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وهكذا لو تفكر الإنسان فى حاله .. وتأمل نفسه وتدبر أمره .. لوجد أن ما يجب عليه هو أن يعيش حياته منذ ولادته إلى مماته في حب شديد لله .. وأن يسير فى الطريق الذى يحافظ فيه على حب الله له . وألا يحرص على شىء قدر ما يحرص على هذه المحبة فيهتدى فى الدنيا بأنوارها .. وتنكشف له أسرارها .. ويحيا فى الآخرة في نعيم بفضلها ..

ألا يكفي أن يعيش الإنسان حياته آمنا مطمئناً ؟ وهل هناك أمان وسلام قدر ما يحسه قلب إنسان أحب الله وأحبه الله . . الله سبحانه وتعالى خالق الأكوان ورب الناس . فليقارن الانسان حاله إذا كان محبوباً من كبير .. أو محسوبا على عظيم .. ومع الفارق الكبير .. والكبير جدا .. فالله هو الأكبر .. والله هو الأعظم . . . فكيف بمن يحبه الله . . وإذا كان بذكر الله تطمئن القلوب . فكيف ترى يكون الأمر .. إذا تعلق القلب بالرب وكان الله للانسان هو وحده المحبوب ؟ .

ألا يكفي أن يعيش الإنسان حياته راضيا قانعاً . . فكل ما أصابه إنما هو تقدير حبيبه عليه . ولا يرضى الحبيب لحبيبه إلا ما فيه الخير .. ولا يعترض المحب على ما يكون من حبيبه له .. فهو الواثق بحبه .. الراضي بفعله .. القانع بحكمه . فكيف بالإنسان الذي أحب الله .. فملأ هذا الحب قلبه بالرضا وكيف به إذا استشعر حب الله له . . وعرف أنه لو سأله استجاب . . ولو دعاه لأجاب ؟

ألا يكفى أن يعيش الانسا ن حياته .. وهو لا يهاب الموت ولا يخشاه .. بل يجد فيه بغيته وما يتمناه .. و بدلا من أن يعيش كما يعيش الناس خائفاً فزعا من الموت .. نجده ينتظره بل ويترقبه إنه يعرف أن فيه السعادة والهناء .. فبالموت يتم اللقاء . وهل يخشى الحبيب لقاء حبيبه .. أم ترى يعد الثوانى واللحظات .. متعجلا اللقاء ؟.

ألا يكفى أن يعيش الإنسان آخرته فى سعادة لقاء المحب والحبيب .. وأن ينظر حوله فيجد نفسه القريب ، ولن يبعد عن النور فهو معه ، ولن يطلب أكثر مما هو عليه .. فليس هناك من مزيد لما هو فيه .. إنه اللقاء .. إنه مع من أحب .. فقد جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم (ماذا أعددت لها ؟) فقال الاعرابى ما أعددت كثير صلاة ولا صيام إلا إنى أحب الله ورسوله فقال النبى صلى الله عليه وسلم (المرء مع من أحب) .

ألا ندعو الله سبحانه وتعالى بدعاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يدعوه به فنقول :

(اللهم أرزقنى حبك وحب من أحبك وحب ما يقربنى إلى حبك)

وندعوه جل شأنه بأن يكتبنا مع الشاهدين حيث يجتمع الشاهد والمشهود .

« رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ واتَّبَعنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » .

« صدق الله العظيم »

دُعاءْ

يا رب

اللهم آمنت بأنني دائما بين يديك ..

وأنه مهما طال بي العمر فإنني في الطريق إليك ..

اللهم شهدت بأنه لا إله إلا أنت رب العالمين ..

وأنني مهما نسيت أو أخطأت فأنت أرحم الراحمين ..

اللهم وقد وفقتني إلى القول الصادق في العاجلة ..

فثبتني بالقول الثابت في الآخرة ..

اللهم اجعلني عند السؤال لا أضل عن الحق المبين

مهما أصابني ومهما كادت لي الشياطين ..

اللهم ألهمني لحظتها أن أقول ربي الله ولا إله إلاك ..

ولا رب لي غيرك ولا أعبد سواك ..

اللهم اكتب لي شهادة التوحيد في كتابي وأن أوتيه باليمين ..

واجعلها الشفيع لي وأن تكون لي الضمين ..

اللهم أغفر لى وللمسلمين أجمعين . .

ولا تخزنا بفضلك يوم الدين . .

اللهم وأجمعنى بكل من يحبونك فى جنتك وفى علّيين .

ولا تحرمنا لذة النظر إليك يا رب العالمين . .

اللهم أجعل دنيانا عملا صالحا يقربنا إليك . .

وآخرتنا حمدا لك ونحن بين يديك . .

يا رب



بسم الله الرحمن الرحيم

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

« صدق الله العظيم »

« والحمد لله رب العالمين »

للمؤلف

الله والعلم الحديث	مكتبة مصر
الإسلام والعلم الحديث	مؤسسة المطبوعات الحديثة
القرآن والعلم الحديث	مؤسسة المطبوعات الحديثة
المسلمون والعلم الحديث	مؤسسة المطبوعات الحديثة
الإسلام دين ودنيا	مؤسسة المطبوعات الحديثة
محمد رسولا نبيا	مؤسسة المطبوعات الحديثة
طريق إلى الله	مؤسسة الخانجى
الصلاة	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
الزكاة	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
التعريف بالإسلام	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بين الدين والعلم	مكتبة وهبه
الصوم بين الدين والعلم	الدار القومية للطباعة والنشر
كيف ولماذا ؟	مكتبة الوعى العربى
بين يدى الله	مكتبة النهضة المصرية

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - بالفجالة

٥٥

مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة



٢٠ قرشاً

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - بالفجالة